



كتاب الشباب



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

عطر المسرح

د. رفيـــق الصبان

عطـر المسـرح

عطــر المســرح

د. رفيق الصبان



مهرجان القراءة للجميع ٩٧

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(كتاب الشباب)

عطـر المسـرح

د. رفيق الصبان

الغلاف:

الإشراف الفنى

للفنان محمود الهندى

المشرف العام

د. سـمير سـرحان

الجهات المشتركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب



مقدمة

وهكذا تمضى مسيرة مكتبة الأسرة لتقدم فى عامها الرابع تسع سلاسل جديدة تضم روائع الفكر والإبداع من عيون كتب الآداب والفنون والفكر فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية، تروى تعطش الجماهير للثقافة الجادة والرفيعة، وتنضم إلى مجموعة العناوين التى صدرت خلال الأعوام الثلاثة الماضية لتغطى مساحة عريضة من بحور المعرفة الإنسانية، ولتقطع بأن مصر غنية بتراثها الأدبى والفكرى والإبداعى والعلمى، وان مصر على مر التاريخ هى بلاد الحكمة والمعرفة والفن والحضارة .. عبقرية فى المكان وعبقرية الإبداع فى كل زمان.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم...

مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر الواعد تقدم صفحات متألقة من متعة الإبداع ونور المعرفة مصدر القوة فى عالم اليوم..

صفحات تكشف عن ماضينا العريق وحاضرنا الواعد وتستشرف مستقبلنا المشرق.

د. سمير سرحان

استهلال

ليست هذه مقالات فى النقد المسرحى ·· قدر ماهى نظرات خاصة فى مسرحيات احببتها ·· وتركت اثرا فى قلبى كوشم النار · كتبتها فى لحظات متفرقة من تجربتى المسرحية ·· وشعرت ان صلات خاصة تربطنى باحداثها ومؤلفيها ·

انها تذهب بى ·· من المسرح الاسيوى البعيد الى التراجيديا اليونانية ثم تنعطف لتمس كتابا من بلاد مختلفة: روسيا والمانيا وفرنسا وانجلترا واسبانيا والولايات المتحدة ··

كتبوا كلهم عن الانسان وقدره ·· عن النجوم والظلام ·· عن الثورة والبحر ·· عن الحلم والحقيقة ·

وتجمعوا كلهم حول خط واحد ·· تختلط فيه شاعرية البطل بوحشيته ·· والوهمية الانسان بضعفه ··

وحول هذا الخط ·· توقفت ··

وحوله كتبت ··

قد تكون هذه المقالات التى كتبت فى مراحل مختلفة مجرد ورقات ··· يطيرها هواء مجنون · ولكنى احسست ان (عطرا) خاصا لازال يميزها · ومن أجل هذا (العطر القديم) جمعتها من جديد فى كتاب ·

أصول مسرح ميللر

(١)

لاشىء أقـــرب الى ارثور ميللر من وقائع الحيـاة الاجتماعية والظروف التى تحيط بهذه الحياة · ولاشىء يهزه قدر ماتهزه الانفعالات العامة التى تسيطر بقوة على أفراد مجتمعه وتكيف مجرى حياتهم · ارتبط ميللر بمحيطه ارتباطا بلغ حد التماسك ·· فهو ينتمى بصورة واضحة الى (الفئة الثانية) ·· من كتاب امريكا لفترة ما بعـد الحرب ، هذه الفئة التى تفضل ان تطرح مشاكلها بصورة مباشرة والتى تعبر عن قلقها وضيقها بعبارات واضـحة ومن خلال شخصيات ومشاكل قريبة الى مفاهيم الرجـل الأميركى العادى ·

ولكى نستطيع ان نعرف هذه الفئة الأدبية التى ينتمى اليها ميللر ونميز خصائصها الكبرى علينا ان نعود قليلا الى فترة النضج ثم فترة التعفن التى عاناها الأدب الأمريكى فيما بين الحربين · لقد عرفت أمريكا فجأة ومن خلال عدد من كتابها الموهوبين شروقا أدبيا ذا صفة عالمية حادة ، والشهرة التى أصابت كتابا أمثال همنغواى ودوس باسوس وتشاينبك وكلدويل وحتى فولكنر وتوماس وولف وصلت الى درجة ما جعلت العالم يكشف مذهــــولا نوعا جديدا شائقا من الأدب ·

هذه الشهرة المفاجئة اصابت بتأثيرها كتابا من العالم القديم كانوا يشقون طرقهم الصعبة·فاصبحت فئة من مثقفى فرنسا لاتتكلم ولا تكتب الا بأسلوب همنغواى المباشــــر العصبى السريع ·· كما ان كتابا مرهفين شديدى الكبرياء كمالرو وسارتر اعلنوا تأثرهم بأسلوب دوس باسوس ـ القائم على التوافق الزمنى للحوادث ـ بصــــورة أدبيــة لانقاش فيها ·· ظهرت اثارها فى كتاب الأول (الأمل) وفى كتاب الثانى (وقف التنفيذ) ··

عمــا كان يتكلـــم الأدب الأمريكـــى فى تلك الفترة الخصبة · ؟ كان موضوعه الأكبر أمريكــا ·· والعــــالم الأمريكى الجديد وفئة جديدة من البشر ·· تحيا بصورة مختلفة ·· وتفكر بصورة مختلفة وتنفعل بصورة مختلفة ·

هذا العالم الجديد بأفكـــاره ومثله ·· ومعتقداتــه وعواطفه ·· كان الموضوع الوحيد لكتاب دوس باسوس الشهير المؤلف من ثلاثة أجزاء كبيرة (أمريكا) ··

كما كانت حياة المزارعين الأميركيين وكفاحهـــم فى سبيل حياة انسانية كريمة وتمردهم الصغيروآمالهم المحدودة وحياتهم الساذجة هى المحور الذى طافت حوله كثير من قصص ثتاينبك وكالدويل ··

ولعل همنغواى كان الوحيد بين هذه الفئة من الكتاب الأميركيين الذى خرج بمواضيعه عن العــالم الأمريكـــى واختار مناطق مختلفة من العالم مسرحا لابطاله وقصصه · ولكن مايستهوى القارىء فى همنغواى هو ردود فعلــه الأميركية الأصيلة تجاه كافة مايصـــادفه فى مغامراتــه العالمية ·

وخير مثال على مانقول نجده فى قصة همنجواى : (لمن تقرع الأجراس) التى نرى من خلالها تأثير الحرب الأهلية الأسبانية على رجل أميركى مثقف يواجه مشــاكل العالم بمثالية ساذجة تشابه مثالية المراهقين ولا نــرى تأثيرها كما فى قصة (الأمل) لمالرو على انسان حساس عقلانى يعالج المشكلة بواقعية رجل مسئول يستخلص من المأساة معنى انسانيا عامـــا دون ان تفقده حســـاسيته وعقلانيته توازنه وحياديته ·

اذن فالعـــالم الجـــديد هو الذى منح ـ لهـــذه الفئة الأولى من الكتاب المدى الذى اتسع حتى أصبح يشكل نوعا ادبيا قائما بذاته امكنـــه التأثير على أدباء أوروبا العريقين فى تطوير أساليبهم الأدبية . ولكن العالم الجديد لم يعد جديدا .. وهؤلاء الكتاب الكبار كفوا عن أن يقدموا (مادة طازجة) تستهوى وتثير . فها هو دوس باسوس يتابع سرد صور من حياة أميركا بأسلوبه القديم الذى لم يحد عنه أو يطوره فأصبح من يقرأه .. يخال انه يقـرأ تقليدا مشوها لدوس باسوس تعوزه النضارة والحذق .

وهاهو شـــتاينبك يعود الى مواضـــيعه القديمة فى قصصه الجديدة كـ (الخميس العذب) فيحاول ان يبعث فيها الحياة .. شأن المتأنقة التى ادار الدهر لها ظهره .. فأصبحت تعيد تفصيل ثيابها القديمة كى توهم صديقاتها انها لازالت تحتفظ بأناقتها الغاربة .. وهاهو همنغواى يهوى الى أسفل درجات السلم .. وينتفض نفضات النزاع فيقدم عملا كبيرا لعله خير اعماله ـ الشيخ والبحر ـ قبل أن يترك لهوليود مهمة بعث قصـــصه القديمـــة واعادة مجدها الغارب .. هذه القصص التى اصبحت تضحـــك احيانا بلا منطقيتها وسذاجتها الأدبية .

ولكن بعثا جديدا مفاجئا أصاب كتابا آخـــرين كان المجد بعيدا عنهم نسبيا خــــلال هذه الفترة الذهبية التى عرفها غيرهم .

أول هؤلاء الكتاب وشيخهم بل شيخ الأدب الأميركى كله (وليم فولكنر) ·· الكاتب الوحيد الذى خلق عالما وجعلنا نحيا فيه··عالم التراجيديا الانسانية بهولها ونبلها وصفائها ·

فولكنر ·· رجل عرف الشهرة منذ قصصه الأولى ·· عرف كيف يدخل الى كل قلب ·· وكيف يؤثر فى كل نفس ·· ولكنه شأن ـ المستوحشين ذوى الطبيعة المنعزلة ·· احتفظ بغموضه وسموه ·· فابتعد بذلك عن ميدان الطبقات الشعبية التى تبلغ الملايين وعن الأضواء الباهرة التى جعلت رفاقه من الكتاب يصابون بكثير من ضعف البصر ·

ان الفئة الثانية التى يمثلها فولكنر وتوماس وولف ·· لم تتحدث عن بيئتها الاجتماعية بصورة مباشرة ·· بل تحدثت عن نفوسها المعذبة وعن آمالها وانفعالاتها فى البيئة التى يكتشفها القارىء فى كل صفحة من صفحات قصصها ·· عالم قلق يعوزه الترابط والتماسك ·· عالم قفز من سن الطفولة الى سن الشيخوخة ·· دون أن يمر فى سن الصبا ·

بيئة يعكسها عالم فولكنر بمناقضتها مناقضة تامة ·· ففولكنر يقدم لنا عالما غامضا همجيا ·· كله صبا ·· وشاعريه ·· وقوة ·· عالما يشابه احيانا عالم التراجيديا اليونانية بصحته ووضوحه وتالقه ·

ويبدو ان انقسام الأدب الأميركي الى فئتين متعاكستين أصبح عادة مستحكمة لدى المثقفين فى أميركا ·· فما ان تبلورت هذه المواهب القديمة وبدأت بالنضج ثم بالشيخوخة حتى حلت مكانها فئة جديدة ·· فئة نضرة ·· اصابت الحرب نضارتها باليأس المسبق ·· وجعلت التطورات السياسية من سذاجتها الأدبية ·· سذاجة كئيبة ·· ومن شاعريتها العفوية ·· شاعرية مريرة ·

هذه المجموعة تمثلها اسماء لازالت تمتد لتاخذ مكانها الحقيقى على مسرح الأدب الأميركى الحديث كتنسى ويليامز وترومان كابوت وكارسون ماكيلرز ووليليام غويان ومن جهة أخرى ارثور ميللر نلسن ايلجرن ونورمان مايلر ·

(٢)

اما الفئة الأولى فانها اختارت عهد الطفولة لتجعله رمزا لفرارها من عالم تستنكره ولا تريد الاعتراف به ٠٠ فهى دوما غارقة باحـــلام ملونة كئيبة ، تائهـــة فى رموز تستلهمها أحيـــانا من الطبيعة وكثيرا من عالم الممثلين المتجولين والدمى المسحورة والشخصيات التى تتأرجـح دون ان نعرف لها سنا معينا أو جنسا معينا ٠

أسلوب هذه الفئة شعرى بسيط ملىء مع ذلك بالرموز المبهمة ٠ واضح بعيد عن التعقيد تشـــع منه نضـــارة مختلطة بكآبة لأحد لها ، ويأس يصل احيانا الى درجـة سوداء من المرارة لاتلطفهـــا الا ابتسامات مشعه غارقـة فى الدموع ٠

واحد من هذه المجموعة اختار المسرح ميدانا له
هو ـ تنسى ويليامز ـ ٠٠ وان كان قد ترك اثره فى القصة بكتاب صغير ناجح صور فيه أمرأة منهارة وعالما منهارا فى غروب دموى اليم ودعاه (ربيع السيدة ستون فى روما) ٠٠

اما الفئة الثانية فهى واقعية ٠٠ واقعية الى درجة العناد ٠٠ الى درجة التشبث وهى وان كانت كالفئة الأولى لاتخلو من شاعرية تبدو فى اشد سطورها واقعية ٠٠ ولكنها مع ذلك قد اختارت الواقع ميدانا لتعبيرها ٠

ارثور ميللر واحد منها بل هو خير ممثليها ٠ ارتبط ميللر بمجتمعه واحس بالآمه لدرجة مكنته ان ينصهر فى بوتقة ملتهبة من هذا المجتمع ليخرج بعدها دخانا يتطاير فى ارجاء أميركا كلها ٠ واكاد اقول فى اغلب بلاد العالم ٠

ولعل ميللر رغبة منه فى ارتباط اكثر مباشرة واوثق صلة ٠٠ ابتعد مختارا عن ميدان القصة رغم النجاح النسبى الذى لاقته قصته الأولى الوحيدة واختار المسرح وسيلة للتعبير متصلا بذلك اتصالا وثيقا مع جمهوره ٠٠ متحدثا معه ٠٠ خلال ليال طويلة ومتكررة حديثا مشوقا لاينتهى ٠

ابتدأ هذا الحديث اثناء الحرب العالمية الثانية بمسرحية عنيفة وقاسية (الكل أولادى)٠٠ تكلم فيها بصراحة متناهية

عن فضائح الأسلحة الفاسدة وجعلها تدور فى جو عائلى ضيق وضمن اطار بورجوازى محدود حول رجل ساهم فى بيع الاسلحة الفاسدة ثم اكتشف من خلال موت أحد ابنائه انه ساهم فى قتل كل جندى فى هذه الحرب ·· وانه لم يعد ابا لأربعة من الرجال فقط بل أب لكل جندى ·· وكل قتيل ·· ولكل ضحية حرب ·

أى انه خرج من نطاق انسانيته المحدودة الى نطاق انسانية أوسع امتدت حتى شملت العالم ·· من خلال الم فردى صغير استطاع أن يكتشف عمق المسئولية ونبلها ·· مسئولية انسان وحيد تجاه عالم بأسره ·

نجد فى هذه المسرحية الأولى بوادر موهبة اكيدة وميل غريب نحو الميلودراما ، تلطفه بعض المشاهد التى تنقد بعفويتها وحلاوة سبكها النتائج اللامنطقية والمغالى فيها فى تصرفات بعض ابطال المسرحية ·

تبعت هذه المسرحية مسرحية أخرى هى (مصرع بائع جوال) وكان لنجاحها الكبير أكبر الأثر فى توطيد اسم ارثور ميللر فى ميدان المسرح الأميركى المعاصر ·

ان (مصرع بائع جوال) تصوير للبؤس الروحى الذى يعانيه ويللى لومان وللعجز الذى يشله فيمنعه من تخطى شرطه الانسانى ، وهى تصوير من خلال هذه

الشخصية البائسة لعالم لا رحمة فيه بشروطه الاقتصادية والروحية والمادية والعاطفة والنجاح العزيزة على قلب كل أميركى جدير بهذا الاسم • تصوير فيه لكثير من السخرية والاستخفاف ولكنه يحوى الى جانب ذلك الكثير من الألم والرثاء •

ويلى لومان انسان يحلم فى عــالم لا يقـــر الاحلام • يحلم بالنجاح يحلم بالسعادة •• ثم يحلم بالموت كحل اخير للخلاص ••

وشأن كل انسان يائس فهو يخرج من عالم لم يقوى على محاربته وعلى الصمود أمامه • عالم لايغفر لهؤلاء الذين يحلمون ولا لهؤلاء الذين يأملون •

انسان غير مفهوم من محيطه • ينكره أولاده • وتشفق عليه زوجته دون ان تفهمه • انســـان اشـــترى حياته كما يشــــترى الفرد بيتـــه بالتقســـيط •• وعندمـــا توصل الى دفع القسط الأخير وجــد ان هذه الحياة قـــد اهترأت وأصبحت غير صالحة للاستعمال •

ويلى لومان •• لم ينتحر •• لقد دفع القسط الأخير من حياته ولما وجد ان حياته أصبحت ملكا له •• اكتشف انها عقيمه لاتجدى نفعا •• فرماها •

المسرحية عميقة وكاشفة فيها الكثير من المهارة وفيها تصوير حسن لشخصية رئيسية ، تدور كلها فى ديكور قسم

الى أجزاء يتناوبها الظل والنور · وفى فترات زمنية مختلفة لا علاقة للتسلسل الزمنى المعتاد بها ··

ولكنها رغم هذه الميزات فانها تتشابهمعالمسرحيةالسابقة بكونها في منتصف الطريق ··· بعيدة عن ان تصل الى النبل التراجيدى ·· ولكنها مع ذلك لاتسقط فى غبار الميلودراما المعتاد ·

مسرحية ميللر الثالثة ساحرات سالم ـ وهى كبرى مسرحياته وأكثرها نجاحا ـ تفضح ببراعة لاحد لها ماسى المكارثيه فى اميركا ·· خلال فترة قاتمة سوداء من تاريخها ·

هذه المسرحية سببت لمؤلفها مضايقات وشائعات وأقاويل لازال يشكو من اثارها حتى اليوم · انها فى رأيى انتفاضة رجل حساس ·· رجل مثقف ضد اتجاه خطر فى بلاده ، يرى فيه هدما لكل مايحترمه فى الحياة ·· ومساسا بالقيم التى تعود ان يجلها ويدافع عنها ·

ان (ساحرات سالم) ليست رأيا سياسيا · انها قبل كل شىء رأى انسانى ·

هذه المسرحية أقرب مسرحيات ميللر الى التراجيديا

وهى قد تفشل أيضا فى أن تكون تراجيديا صغيرة ولكنها تنجح كل النجاح بأن تكون دراما موفقة ..

موفقة فى أسلوبها النبيل الجاف المحكـــم ، موفقـــة فى تصويرها لشخصيات تتطور بصورة منطقية حتى عقدة المأساة الرئيسية ... موفقة فى مدلولهـــا الذى اراد لـــه المؤلف هذه المرة طريقا غير مباشـــر .. فهو قد جعـــل مسرحيته تدور فى فترة سوداء أخرى من تاريخ أميركا . فترة بعيدة كل البعد زمنيا وقريبة تماما من حياة اميركا اليوم .

فترة جنون جماعى طغى على مدن أميركا فقسم سكانها الى فئه مذعورة جاهله تتحكم فى أقدار فئة كبيرة عاجزة عن اثبات براءتها لأنها لا تدرى من أمر جريمتها شيئا .

نجح ميللر فى ان يصور بمسرحيته كيف تولد الكبرياء البشرية كنواة صغيرة وكيف تتطور بعد ذلك وتنضج حتى تصبح ثمرة .. تهب الانسان انسانيته .

انى لازلت ارى فى نهاية المسرحيةوجموع المتهمين الأخيرة تتجه نحو المشنقة بين ذعر الحكام وقلقهم ..

شاعرين بمدى براءتهم .. مؤمنين بعبث موتهم ..

واثقين من تأكد انسانيتهم رمزا خطيرا ساميا ورائعا لكافة شروط الحياة فى كافة البلاد التى تتحكم فى حرية الفكر وفى حرية الانسان على وجه عام ..

(٣)

صمت ميللر قليلا بعد ان كتب هذه المسرحية ثم أطل علينا بمسرحية رابعة هى رؤيا من الجسر ·

ارادها أن تكون شبيهة بمسرحياته الأولى ·· مبتعدا عن الطريقة التى انتهجها حينا فى (ساحرات سالم) ·

اخطأ التوفيق ميللر فى هذه المسرحية ·· فالتردد يشع من كافة أجزاء المسرحية · فهى تتردد بين ان تكون مأساة عاطفية تروى حبا اثما مستحيلا · ·وبين ان تكون سردا رديئا لشبرط حياة الايطاليين ··· المهـــاجرين الى اميركا بحثا عن عمل ·

وهى تتردد بعد ذلك بين أن تكون تصـــويرا بارعـا

لشخصية بطلها الرئيسى أيدى (وصراعه بين ما يراه حقا ومايراه الآخرون) ·· وبين تصوير مجتمع أجنبى صغير يحيا على هامش الحياة تنكره أميركا فى أعماقهـا وان كانت تعترف به فى الظاهر ·

وهـى تتردد أخيرا وهذا أكبر أخطـائها ·· بين الكوميديا والدراما ولا تحقق بعد ذلك الا نجاحانسبياقائما على الميلودراما بكل ماتحتوى كلمة الميلودراما من اخطاء وضعف تركيب ومبالغة ·

واخيرا بماذا يمكننا ان نصف فن ارثور ميللر ؟

هل هو كاتب مناسبات فحسب ؟

وهل سيكتب لمسرحة الحياة ·· ام انه سيزول عندما تزول المشاكل التى سببت ظهوره · ولن يتبقى منه الا قيمة تاريخية ·· نقرأه كى نتذكر حديثا معينا وفترة معينة ؟؟ ان مزايا ميللر المتعددة وأسلوبه المباشر الذى لا يخلو من جمال كبير يجعلنى استبعد مثل هذا الاحتمال ·

لقد اختار ميللر الصراع القائم بين الانسان ومحيطه كمادة أساسـية لمآسـيه ··· فابتعد بذلك عن الكتاب الأوربيين كافة الذين اختاروا الصراع القائم بين الانسان ونفسه كمادة أساسية لعالمهم الفاجـع · لذا نجد ان كتابا

آخرين كبيراندللو الايطالى ومونترلان الفرنسى يتوصلان الى كتابة مآسى تشابه التراجيديا ..

بينما نجد كاتبا موهوبا كارثور ميللر لا يتوصل الا الى كتابة دراما صالحة تبتعد عن التراجيديا وتقترب فى كثير من الاحيان من الميلودراما .

ان الصراع بين الانسان والمحيط وسيلة مناسبة لابطال ميللر تجعلهم يكتشفون النبل والصفاء الذى تحويه انفسهم ... ومن خلال هذا الصراع يؤكدون انسانيتهم ويحاربون فى سبيلها .

بينما نرى ان الصراع القائم بين الانسان وعواطفه بين الانسان وانفعالاته لدى الكتاب الأوربيين هو الذى يدفع البطل الى طرح السؤال عن مدى صلته مع هذا العالم الذى يحيط به .. ومن تساؤل الى تساؤل ... ومن خلال هذه الطريق الطويلة المعقدة ... نجد البطل الأوروبى يتوصل الى كثير من القيم الثابتة لينكرها او ليؤكدها جاعلاً من انسانيته دوما ومن الصراع مع عواطفه غالبا ... المعيار والدليل الوحيد الذى يختبر به مشاكله مع العالم .

ترى .. لو اراد ميللر يوما ان يكتب مسرحية حول انسان لا ينفك عن طرح الاسئلة عوضا عن ان تطرح الأسئلة عليه ..

انسان يعذب نفسه عوضـا عن ان يترك الآخـــرين يعذبونه ·· انسان يواجـه المجتمـــع ويطلب منه حـــل مشاكله ··

قبل ان يحاصره المجتمع ويفرض عليه مشـــاكله · انسان يجعل العالم جزءا منه قبل ان يكون هو جزء من هذا العالم ··

ترى لو اراد ميللر ان يفعل ذلك فهل ينجح فى تحقيق الأمل الذى طالما راوده ·· وهو كتابة تراجيديا أميركية أصيلة ؟

ـ ١٩٦٢ ـ

وجوه من المسرح العالمى

فى شوارع ضيقة ملتوية تتجمع فيها بقايا الامطار مشكلة اخاديد حزينة كأنها التجاعيد فى وجه امرأة هرمة ٠٠ وامام جدران بيضاء صامتة ٠٠ تلوح فى اسفلها بقايا دماء حمراء بخرتها الشمس ، ومن خلال اشجار غامضة جرداء تتلاعب بها الريح امام منطقة منعزلة بعيدة عن ضوضاء المدينة ٠

اختار ثلاثة من أشهر كتاب الدراما فى عصرنا الحديث اجواءهم ليعبروا بواسطتها عن هذا القلق الفاجع وعن مأساة الانسان الذى يود لو يصبح فراشة ٠٠ ولكن أقدامه المترهلة تجذبه جذبا الى هذه الأرض الطينية القاسية التى تحدد حياته وتلونها وربما تعطيها طابعها الأصيل ٠

تنسى وليامز فى أمريكا ·· تشيخوف فى روسيا ·· وغارسيا لوركا ـ فى أسبانيا ·

عالم ينهار وعالم يبتدىء وعالم مغلق على نفسه يعيش اصداء ماضيه وأحلام مستقبله · ثلاثة من كتاب الدراما يتصفون رغم اختلافهم بصفة واحدة غالبة هى الشاعرية المغرقة ··

الشاعرية فى تصوير الحادثة ·· والشاعرية فى رسم الشخصية ··· والشاعرية فى تحديد الاطار · ولكن هذه الشاعرية ان كنا نراها لدى ويليامز شاعرية مليئة بدخان السجاير ·· وبأنغام الجاز الحزينة ···· وبالمصابيح الملونة ·· وبالحب الصارخ الجسدى ·· فأننا نراها لدى تشيخوف شاعرية شاحبة ·· شبيهة بهذه الأشجار الطويلة التى ترسم على الجدران الرمادية ظلالا رهيبة كئيبة·· والتى تجعلنا نستمع احيانا فى سكون ليلة صيف مملة ·· الى غناء بعيد لبلبل ربما كان يلفظ انفاسه الأخيرة ·

اما اذا عدنا الى لوركا فشاعريته ·· الأصيلة مستوحاة من خرير جداول الأندلس ·· وورودها الحمراء التى تشابه فى لونها لون الدم ·· من هذه العيون السوداء الكبيرة التى تتكلم وتصمت ·· والتى تدفع وتمنع والتى تقف شامخة وقد غرقت بالم فاجع يكاد لايوصف ·

وأول وجه كبير سأعرضه أمامكم هو ـ دونا روزيتا ـ بطلة مسرحية لوركا ·· لغة الزهور ·

. لوركا ·· شاعر وثائر وانسان ·· يفهم كما لايفهم غيره لماذا يتسلق ضياء القمر الشرفات المظللة بالياسمين ·· ويصف كما لايصف سواه ·· كيف يلتمع الماء ·· فى أعماق عين فتاة تنتظر ·· ان عالمه أسود ·· يشع بآلاف الأنوار الخافتة ·· ويمتلىء بهذه الأصداء العجيبة التى تحمل فى طياتها صوت ارتطام السكين على الأحجار ·· أو صرخة الأم الثاقبة التى ترى وجه ولدها مكللا بالدم ·

ودونا روزيتا وجه خاص فى عالم لوركا ·· هادئة شفافة تختلف لكل الاختلاف عن بطلاته اللاتى نعرفهن · تختلف عن هذه الأم الجبارة الهائلة التى تبدو فى مسرحية ·· بيت برناردا عملاقة تتحدى الطبيعة فى هذه التقاليد التى رسمتها لنفسها ·· وتضع فتياتها فى اطار أسود تمنعهن فيه من الاحساس بدفء الجسد أو ترداد كلمة حب ·

عالم برناردا عالم الاحجار السوداء ·· عالم القمر الذى يختفى وراء السحاب الكئيب ·· عالم الادراج التى تصعد هرمه ·· الى غرف النوم المغلقة ·· عالم السرير الابيض الذى يحلم برائحة الرجل ·· وعالم الأغنية التائهة الحزينة التى يرددها شاب يحب ·· امام النوافذ القاسية التى لايشع منها نور ··

ولكن دونا روزيتا ·· شاحبة شفافة ·· لاتعيش هذا العالم القاسي ·· الذي تقال فيه الكلمة الجارحة بنوع من

التشفى والسعادة والنشوة • انها تحياعالم الورود ••• عالم الزهرة التى تنبت وحيدة وتموت وحيدة وتنظر وهى فى سجنها الضيق الى السماء الرحبة التى تحيطها •• وتشعر بقبلات العصفور الذى يقف على اغصانها وتحس بخلجات الأوراق الخضر التى تجاورها •

انها تنمو وتنطلق مستمدة قوتها من هذه الآمال التى تنام هادئة رقراقة فى اعماقها •

وقصة روزيتا قصة ساذجة بسيطة •• تحـدث الوف المرات •• فى قرى الاندلس البيضاء التى يخيم عليها جو مشرق ملىء بالخضرة والتى تتردد فى جوانبها اغانى ـ الفلامنكو المليئة بالعاطفة والوعود •

روزيتا فتاة جميلة فى ريعان الصبا احبت شابا وهبته قلبها ونفسها وامانيها وعاشت فى قريتها حالمه سـعيدة بأنها قد توصلت الى هذا الباب ذى المغـلاق الكبير الذى يفتح على جنة لاحدود لها •

ويترك الشاب القرية لسبب مابعد ان يعد روزيتا بأنه سيعود •• وتبتدىء المسرحية لتروى سنوات الانتظار التى تعانيها روزيتا • سـنوات طويلة مملـة مليئة بالنوافذ الصغيرة التى تكشف ـ سهولا قاتمة جرداء وبالأصـص الملونة التى تحيا فيها الورود سجينة تأمـل املا خفيـا

بالانطلاق" ‥ ولكن جذورها تمسكها فى التراب والطين ‥ ان روزيتا بكلماتها المزخرفة واغانيها الكئيبة قصيدة مرة عن الزمن الظالم وعن الحب التعيس ‥ ان روزيتا لم تجد لنفسها نصيبا من الحب ‥ ولكن كبريائها كان يمنعها من الاقرار بهذه الحقيقة ‥ ونبلها وحرارتها كانت المانع الوحيد الذى يقف بينهـــا وبين ان تموت ذلا ‥ لذلـــك فالمسرحية ليســت الا تحليلا لنزاعهـــا الطويل على مرور السنين ‥ شبيهة بهذه الحديقة التى يعتنى بها عمها ‥ والتى بدأت الاعشاب السامة تجتاحها عاما وراء عام ‥

فهذه الزهور الرائعة التى بقى العم سنينا يرعاهـــا لاتعيش الا يوما واحدا ‥ فهى فى مقتبل الصـــباح زر صغير ‥ سرعان مايتفتح فى الظهر ‥ ثم تسقط أوراقه بكآبه فاجعة فى المساء ·

وهكذا تسير حياة روزيتا ‥ ولكن روزيتا لاتموت فى نهاية المســـرحية ‥ بل تترك دارها لتختفى فى أعمـــاق السنين ‥ ولتمسح بلذة غريبة آثار الطعنات والاهانات التى تتلقاها كلما خرجت للنزهة من هؤلاء الشباب الذين يتمتعون بزهرة عمرهم هازئين بالعوانس مثلها اللواتى يطوين الفؤاد على الأمل المستحيل ·

ليست مسرحية دونا روزيتا بالنسبة لغارسيا لوركا ‥ خير مسرحياته ولكن فيها هذه الشاعرية الهادئة التى قلت عنها ‥ هذه الشاعرية التى نراها فى كل جزء من أجزاء

المسرحية ·· فى البستان المهجور ·· الورود البيضاء ·· النوافذ المغلقة ·· نداء الدم ·· ثم هذا الزمن ··· الزمن الرهيب الذى نصارعه دون أمـــل ·· دون قوة ·· وهذه المعركة الكبرى التى ندخلها متكبرين ·· شاعرين بهزيمتنا المؤكدة ومحاولين رغم هذا تأكيد انسانيتنا ·

فى ركن آخر من العالم عبر وليامز عن شاعرية الزمن ·· من خلال امرأة أخرى ·· شخصية هى ولاشك أحب شخصيات ويليامز الى قرائه وواحدة من أجمل مارسمه المسرح الأميركى خلال فترة تطوره ، ونهوضه ·· انها ـ بلانش ديبوا ـ بطلة مسرحية ـ عربة يدعونها اللذة ·

ـ بلانش ديبوا أيضا قسا عليها الزمان · لعنها كما لعنها الليل والضباب وترك منها وجهـا هرمـــا وعينين زرقاوين صافيتين لاتزالان ـ تشعان كأنهما جدول صغير من الماء فى ضوء القمر ··

انها كما تصف نفسها بياض الغابة عندما يظهر القمر · امرأة عركت الحياة وفهمت مبادئها ولكن حساسيتها وبيئتها جعلتاها تفر من الواقع الذى اكتشفته لتختفى وراء اقنعة الدانتيل السوداء ووراء المصـــابيح ـ اليابانية الخافقة والفراء ذى الملمس الناعم وان كان دود الزمن قد اكل رونقه وعنفوانه ··

بلانش ديبوا هى لكل مانكرته ·· امرأة عاشت الموت منذ طفولتها ·· رأته وهى تجيا فى منزل ابويها الفخـم

فى الجنوب العريق ·· رأت كيف تموت الدار ·· وكيف تطغى الاعشاب المجنونة على الجدران والغرف التى لاتزال ترن فيها اصداء الضحكات ·

رأت كيف تموت قطع الأثاث العزيزة ·· وتذهب الى ايدى التجار الملوثة ·· رأت امها تنام على الأرض ·· فى هذه الغرفة الكبيرة ذات السـقف المرتفـع والنوافذ المزركشة ·· رأتها كيف تموت بين الصديد والدم ·· ثم اكتشفت كيف يمكن ان تنجو من هذا الواقع الرهيب بأن تلبى نداء الجنود الذين يقفون تحت نوافذها ليصـرخوا بصوت موسيقى اشبه مايكون بغناء الزنوج اسمها بلانش بلانش اى بيضاء ·· وتهبط بلانش اليهم لتنسى فى ثورة جسدها المسكين ·· الموت والصديد والعفن ·

ولكن من هذا العالم العفن استطاعت بلانش ان تحب ·· احبت شاعرا شابا ·· رقيقا مرهفـا يقف فى الليالـى السوداء ·· يبكـى على مصـير القمر ويلمس الأوراق الذابلة بحنان ساهم ويمسك بيدها ليردد اسمها بصوت كالدعاء أو التوسـل ·· بلانش ·· بلانش اى بيضـاء بيضاء ·

احبته وتزوجته وبدأ يكتب لها رسائل طويلة زرقاء ·· وبدأ يبكى امام فراشها فى الليل هذا الفراش الأبيض الذى لازال نقيا ·· بدا يحدثها ـ عن الغيوم التى لاترسل المطر ··

وعن الحيوانات ذات العين الواحـــدة التى تهيم فى الليل باحثة عن رفيق لها ..

ولكن بلانش لم تفهم سر الشاعر المســـكين .. كانت غارقة فى شبابها تحت سيطرة الأوراق المرتعشة الخضراء .. انها لم تصل بعد الى مرحلة النضـــج الخريفى من نفسها ..

وحان الحين .. وكان لابد لها ان تكتشف سر زوجها الشاعر .. السر الذى لايجرؤ أحد على البوح به .. اكتشفته بل رأته رأى العين .

وفى هذه الليلة الرهيبة .. لـــم تنبس بلانش بكلمة واحدة .. وحين ـ سقطت عيناها على زوجها المســكين صاحت به بهمس كأنه الصراخ ... كم احتقرك .

وفى هذه الليلة نفسها .. والجميع يرقصون حالمين فى هذه الحديقة المليئة بالأنوار الخافتة سمع طلق نـارى .. وهرع الجميع وبلانش بينهم ـ ليجدوا الشاعر وقـد قتل نفسه بان أطلق رصاصة فى فمه .

وفقدت بلانش الانسان الوحيد الذى أحبها .. دون جدوى ... وابتدأ طريق الصليب امام بلانش .. ثارت ثورة مجنونة على الجسد الذى جعلها تحتقر وتفقد كل القيم التى احبتها . وقررت ان تحطم جسدها دون ان تدرى انها ستحطم

نفسها واحساسها بأجمعه٠٠قررت ان تهب جسدها لأىكان كى تنسى ان لها جسدا يملك وان تضع نفسها الحقة فى بوتقة خاصة بعيدة شبيهة بالقمر ٠

قررت ان تعود لعالم الاطفال ٠٠ ان تلمس فى براءتهم التى لـــم يعـد العـــالم يفهـم منهـا شيئا ما ضـــاع منهـــا الى الأبـــد ٠ وطـــردت بـــــلانش من كل مكان ٠٠ من مدرستها التى كانت تدرس فيها ٠٠ من الفندق الذى كانت تسكنه ٠٠ من نيواورليان المدينة التى يحتفظ فيها ضياء القمر بأبخرة المستنقعات الاسنه البنفســجية اللون ٠٠ واستقلت بلانش عربة يدعونها اللذة لتصل الى دار شقيقتها الصغرى ـ ستيلا ـ التى تحيا فى ركن بعيد مع رجل وحشى ذى جسد جميل تنسى بقوة ذراعـــه كل مساوىء العالم وشروره ٠

هذه الاقامة المشئومة التى تنتهى باستســـلام بلانش لزوج اختها ثم اصابتها بالجنون هو موضوع مسرحية ـ عربة يدعونها اللذة ٠

لقد قطعت بلانش الطريق الضيق الذى يفصـــل بين عالم الوهم وعـــالم الحقيقة ٠٠ بين الجنون والعقـل ٠ واختارت طريق الاوهام ٠٠ وانطفات هذه الشعلة الصغيرة التى تشـــابه الشـــمعة ٠٠ والتى كانت تنير لها حياتها بأجمعها ٠

لا أريد تحليل مسرحية • عربة اللذة ـ قدر ما أرغب ان أرسم صورة واضحة الملامح لشخصية بلانش لأضعها أمام زميلتها الاسبانية ـ روزيتا التى قهرها جسدها أيضا وجعلها تحيا هرمة مسكينة فى دار لا اصداء فيها •

ولاضع بعد ذلك أمام هاتين البائستين نموذجا ثالثا خارقا للعادة هو ـ الشقيقات الثلاث ـ لتشيخوف • من الصعب تحليل مسرحية تشيخوف • • وهذه الظلال للأشجار المرتفعة المتكبرة •• ثم هذه الأرض القفر الجرداء التى تمتد الى مالانهـــاية •• وأخيـــرا هذه النفوس المغلقـــة الأسيانة الحية • ولكن من الممكن القول انها من اجملماشهده المسرح الحديث حتى الآن • نفوس تحيا فى بوتقة محترقة •• تحترق ببطء باعثة اشـــعاعا روحيا لايمكن لأحد ان يقارنه بأى اشعاع آخر • شاعرية حزينة مجوفة تدخل الى دهاليز كل نفس وتقف فيها صامتة تنتظر •

ان الشقيقات الثلاث لسن شخصيات يوضـــعن تحت مبضع محلل أو ناقد •• انهن فوق أى نقد أو أى تحليل •• واذا لم يحسهن الانسان معه فى كل لحظة من لحظات حياته •• اذا لم يشعر بهن وقد دخلن الى عالمه بكآبتهن ومرحهن السريع وانتظارهن الذى لاينتهى • فخيرله ان يبتعد عنهن •
ان الشقيقات الثلاث لا يعرفن الحلول الوسطى فامـــا أن يأخذن المكان الأول أو يختفين كأشعة الفجر الشاحبة •

في قرية منعزلة نائية بعيدة عن موسكو ٠٠ وفي دار كبيرة تحيطها أشجار عاليات كن يحيين ٠٠ الصـــغرى مليئة بآمال لاتنتهي والوسطى غارقة في حلم رومانتيكي عجيب ينسيها زيجة فاشلة والثالثة قد أصابها السهم القاتل ففتحت عينا ساهمة على عالم عرفت أنه قدرها العجيب وأنها لن تغادره أبدا ٠

وفي هذه الدار يأتى الزوار لرؤية الشقيقات الثلاثة ٠٠ طبيب عجوز ثمل ٠٠ فقد كل شيء ولم يبق له الا رؤية هاته الفتيات اللاتي لازال الأمل قابعا في نفوسهن يغذى نفسه المهرمة من بقايا هذه الدماء الشـابة التي تسـيل أمامه ٠

وضابط قاتم لايؤمن بشيء ٠ يؤمن ان العالم فاسد عابث ولكن علينا ان نحياه٠علينا ان نحياه لنؤكد انسانيتنا ونؤكد نفوسنا ٠٠ ونؤكد وجودنا الحقيقي ٠

وأخيرا فئة من الشباب اللاهي المزهو بشـبابه ٠٠ الفرح ٠٠ الذي يود ان ينسى ان هناك ألما وانتظارا وحسرة ويترك الحياة تجري دون ان يوقفها ٠٠ ثم يلقى بنفسه في تيارها مغمض العين ٠

وأخيرا الشقيق ٠٠ الشقيق المسـكين الذي يرغب ان يكون شيئا ٠٠ شيئا كبيرا رائعا تقف له الدنيا كلها ٠٠ دون ان يعرف ان الدنيا له بالمرصاد ٠

الى هذه المجموعة الحلوة ·· يدخل الزمن بقناعه ·· فيحطم كل شيء ··· الشقيق الموهـــوب يتزوج فتـــاة تافهة ·· سرعان ماتصيبه عدوى تفاهتها ·· فاذا به رجل مسكين مدمر ينظر الى الأشجار والفراشة ثم ينظر الى قدميه الغارقتين فى حذاء عتيق ·· ويستمع دون شكوى الى بكاء أطفاله الصغار الذى لاينقطع ··

والشقيقة المتزوجة تسقط فى حب الضابط اليائس الذى يبادلها الحب دون ان يؤمن بوجوده عله يستطيع ان يضع لحياته الفارغة هدفا ·· ولكنه فى اليوم الذى سيأخذها فيه الى موسكو كى يعيشا أخيرا حياتهما الحقة· يقتل فى حادثة مبارزة سخيفة لامعنى لها ·

والشقيقة الصغرى التى كانت ترقص مزهوة بآمالها وأحلامها ·· ترى حلمها الكبير فى الرحيل قد تحطم ·· وترى نفسها وقد أصبحت عانسا قبـــل الآوان ·· ترقب بصمت بطىء ذوبان الثلج وتحوله الى ماء ملوث طينى سرعان ما يختفى بين الأشجار ··

اما كبرى الشقيقات ·· فقد غدت آلة صماء ·· فقدت انسانيتها كلها ، وآمنت بلا جدوى العالم ·· آمنت بقدرية شبيهة بقدريه الهة اليونان ·· لامفر منها ·· ولا هرب ·

قدرية آلية تحطم الانسان ·· وتتركه اشلاء تتلاعب بها الريح ··

ولكن الانسان ·· هذا الانسان العجيب الذى ينهض من كل كارثة رافع الرأس ·· هو الذى يجمـــع هاتـــه الشقيقات الثلاث فى المشهد الأخير من المسرحية وقد وقفن صامدات شامخات ·· يستمعن الى نداء الرحيـل وفى اعينهن يلتمع من جديد أمل لاينتهى · أمل لايموت ·· طالما الانسان لازال انسان يحيا ·

لايجب ان يستنتج من حديثى ان المسرح الحديث مسرح أسود ·· لا ·· بل العكس تماما ·· أنه مسرح يرسم خطا ذهبيا لعالم ينقد نفسه · عالم يحاول الخلاص··ولكنه عالم واع يستخلص من أشد ما مر به هولا ورعبا شروطاالأساسية للكرامة الانسانية ·

ويضع أمامنا بكل صراحة صورة البطل الذى يتحدى السماء فى عالم يعرف السماء بأنها ليست الا امتدادا أزرقا فارغا يسببه خداع النظر ·

ـ ١٩٦٤ ـ

النو والكابوكى والطائر الأبيض

كلما أردت البحث فى مشكلة المسرح الشرقى اجدنى أمام عالم عجيب ومتسع ٠٠ وأرانى أطرح على نفسى آلاف التساؤلات عن هذا المسرح الغريب الذى لم نعتده بعد ٠٠ وان كانت جذوره تمتد الى آلاف السنين وتطرح طرقا جديدة فى التعبير والعرض وأخيرا أرانى أمام مشكلة الروح الشرقية وطريقة فهمها للاساطير والتعبير المسرحى بمعناه الغربى المألوف ٠

اذا ابتدأنا حديثنا عن المسرح الهندى لوجدنا ان هذا المسرح العريق كان يعتمد على الأساطير فى تكوينه وتغذيته ٠ شأنه بذلك شأن المسرح الاغريقى القديم ، ولكن اذا كان المسرح الاغريقى يمتاز بالتشييد الهندسى المتكامل

الذى تعود بذوره الى الروح الأوربية العقلانية النزعة فان ضعف التركيب الظاهرى والذى يتميز به المسرح الهندى مرده ارتباط الروح الشرقية بالتعبير الشعرى المجرد وبالشطحات العاطفية التى قد تؤدى أحيانا كثيرة الى ضياع المعنى المأساوى فى المسرحية بين استطرادات وتأملات ووقفات قد لانجد لها معنى فى دنيانا المسرحية المعاصرة ٠

ولكن الشىء الجديد والهام فى المسرح الشرقى على وجه العموم هو ارتباطه بما يدعوه بعض اساتذة المسرح الأوربيين بالمسرح المتكامل ٠ فالموسيقى والرقص والتمثيل الايمائى والتمثيل الدرامى والغناء والرسم كلها تتجمع لتكون مشهدا فذا لاغلبة فيه لعنصر دون عنصر يسير بخط صاعد نحو التعبير الشعرى عن الاسطورة أو عن مشكلة من مشاكل الحياة ٠

هذا الاتجاه فى التعبير رسم له طاغور مؤخرا خطوطا عريضة فى مسرحياته وان كنت أجزم ان التأثير الأوربى العقلانى الذى تأثر به طاغور اثناء دراسته فى انكلترا قد طبع بعضا من مسرحياته الشهيرة كالزنابق الحمراء فخرج بها عن جوها العريق التقليدى لتصبح صورة مشوهةأحيانا عن البنيان الدرامى الأوربى الذى تتخلله تأملات شرقية فى أسسها شاعرية مغرقة الشاعرية فى أسلوبها ٠ ولكن المسرح الهندى العريق يمكننا ان نجده اليوم فى هذه

المسرحيات ـ الشعبية التى لا نعرف أسماء مؤلفيها والتى يمثلونها أبا عن جد ٠ ويتناقلونها كما تناقل اليونان من قبلهم أساطير أوديب وأولاده وميديا وايفيجينا واوليس ٠ هذه المسرحيات التى تعرض أمام شعبهذهشرطهالاقتصادى والاجتماعى يجتمع كتلا بشرية فى قرية نائية من قــرى الهند ، يرمق بعين نهمة مشدوهة ٠٠٠ مسرحا صـغيرا لاديكور فيه الا أشجار كبيرة غامضة تحيطها سماء متسعة عجيبة ، وعلى قطعة أرض صلبة يقف رجال ونساء يغنون ويرقصون ويمثلون دراما عنيفة ذات خيوط غليظة حقـا ولكنها تخفى مع ذلك أصالة فن تحدى السنوات وتحدى طبيعة ظالمة قاسية ٠٠ ليتابع ترتيله الساذج أمـام الأعين الجائعة التى ترى فى هذا الفن قطعا من أحلام تشتريها لتنسى فيها عالمها البائس ٠٠ ٠٠

هذا السذاجة المطلقة فى التعبير وهذه العفوية بالفن الدرامى لانجدها مطلقا فى مسرح عريق آخر يشابه المسرح الهندى فى كونه تعبيرا عن (المسرح المطلق) ٠٠ الذى يحاول ان يحققه الأوربيون فى القرن العشــرين ولكنـه يختلف عنه بابتعاده عن العفويةوبلجوئهالىرموزعنيفةعقلية ترسم خطا واضحا لا جدال حوله عن الروح الشـــرقية الآسيوية واقصد بكلامى المسرح اليابانى ٠٠

يتفـــق المســـرح الهندى مع المســـرح اليـــابانى بشؤون فنية كثيــرة فهو يلجـــأ أولا الى الحـــركة الراقصـــة للتعبير عن انطلاقـــة المأســـاة فى الجسد

البشرى .. فكما ان الرقص الهندى قد أصبح لونا مسرحيا ذا طابع مميز يلجأ اليه لسد كثير من ثغرات التعبير فى المسرحية يساعد على ذلك اعتبار الرقص فى الهند منذ آلاف السنين ضربا من العبادة الروحية وتصعيدا للعواطف الدنيا فى هذا العالم ، نجد الرقص اليابانى يتحول الى عامل دراماتيكى فعال يسند البناء المسرحى بأجمعه ولايتخيل وجود المسرحية دونه . اذ لولاه لانهارت المسرحية وانقلبت رأسا على عقب..فهذه الحركات اللينة الصغيرة وانسياب الجسد انسيابا طبيعيا ثم التعبير بالايدى عن أدق خلجات النفس كل ذلك بمصاحبة موسيقى تستمد اصواتها من أصوات الطبيعة ، وتصل حينا الى درجة من الانسجام تصعق سامعيها وتختلط أحيانا فتشكل مزيجا من الأصوات يخيل الينا نحن متفرجى القرن العشرين الذين تعودوا على نمط معين من الموسيقى والرقص والانفعال المسرحى انها أصوات بعيدة عن الانسجام الموسيقى بمعناه المألوف ولا شك ان التجربة – التى عاناها مسرح – النو – الدينى حين قدم رواياته فى مهرجان فينسيا الغنائى سنة ١٩٥٤ . ذات دلالة مخيفة .

فقد عرض هذا المسرح العريق ألوانا قديمة من فنه أمام جمهور أوروبى مرهف اعتادت أذنه سماع الحان فردى القديمة واعتاد ان يرى ماسى سوفو كليس وراسين ، التى تبتدىء من نقطة معينة لتصل الى نتيجة كبرى والتى

تصور بأسلوب واضح دفاع الانسان عن حريته كانسان وصراعه مع القوى السماوية العليا أو القوى الأرضية المتعصبة • شهد هذا الجمهور لونا غير معتاد يعتمد على الرمزية المطلقة فى التعبير • وعلى ضرب روحى خفى يقوم على الايحاء أكثر مما يعتمد على المنطق وعلى أصوات مبهمة لا انسانية تعبر بصورة مغرقة فى طبيعتها عن قوى الخير والشر التى تتجاذبنا • وكانت النتيجة كارثة مروعة •• ألمت الفنانين الذين يقدمون هذا الفن منذ القرن الرابع عشر الميلادى وهزت نفوس المتفرجين الأوربيين الذين شعروا بمدى غرابتهم عن هذا اللون من المسرح الذى لاينسجم مع تفكيرهم واهوائهم ونمط حياتهم •

ماهو مسرح النو ؟ وماهى المواضيع التى يعالجها ؟

•• ظهر مسرح النو أول ماظهر خلال القرن الرابع عشر وتميز بكونه مسرحا ملكيا مترفا تحيطه ارستقراطية فكرية ثرية تكتب له وتشجعه وقد كان للطابع الدينى الذى امتازت به رواياته اثرا فى جعله رديفا للمعابد والطقوس الدينية المتبعة مما اعطاه على مرور الايام طابعا قدسياوروحيا خاصا •

ارتبط هذا المسرح منذ نشأته واثناء فترة تطوره كلها بالبورجوازيه الفكريـة والمالية وحين انهارت هذه البورجوازية فيما بعد الحرب العالمية الثانية انتابت مسرح ـ النو ـ هزات عنيفة توقف بعدها عن الاستمرار فى

عرض مسرحياته الى ان عاد سنة ١٩٥٢ ليتكون من جديد ويتابع الطريق المرســومة له منذ القرن الرابع عشر دون أى تغيير .

يعالج مسرح النو مواضيع روحية معقدة بأســلوب يجمع بين الغناء والموسيقى والرقص والتمثيل الايمائـى واللفظى . ويتبع فى اخراجه شكلا مجردا عجيبا تتأكد فيه حركات الممثل بكافة وقائعها وخلجاتها للتعبير عن ـ وضعه النفسى الذى رسمه له المؤلف .

ولكن المسرح اليابانى لايقتصــر على هذا المســـرح الروحى الكبير بل هناك تيار مسرحى آخر ذو طابع شعبى لايقل عن مسرح النو عراقة وأصــالة واســمه ـ مسرح الكابوكى ـ وقد ظهر خلال القرن السادس عشر كرد فعل عنيف على مسرح النو الذى سيطرت قيمة الروحية على مختلف مجالات الحياة الروحية فى اليابان .

يسير مسرح الكابوكى على نهج مسرح النو فى طريقة التعبير الحركى والموسيقى الراقص واســتعماله الأقنعة واخفاء وجه الممثل البشرى ـ ولكنه يختلف عنه فى نوعية هذه الموسيقى وهذه الحركة ونوعية المواضيع التى يعالجها وادخال عنصر المرأة فى التمثيل .

ان الكابوكى هو روح شــعب اليابان كما تتمثل فى أغانيه الشعبية ورقصاته القديمة الحزينة وأساطيره التى

تعالج روح الخير وروح الشر بصورة ساذجة حلوة تعكس كل مافى الروح الشعبية من جلال وقدسية ٠

ولعلى اذ أضع خلاصة سريعة لمسرحيتين من مسرح النو والكابوكى فاستطيع ان أصل الى تفسيرالروح المسرحية العامة التى تميز هذين المسرحين ٠

تروى مسرحية النو (ساجى) ٠٠ قصة امبراطور يحيا فى زمن سلام ويقضى حياته كلها فى تأمل الفصول تتبعه حاشيته الخاصة التى تتأمله فى خشوع ويصادف فى يوم قائظ من أيام الصيف طائرا أبيض هلاميا ويشعر بالحاجة الملحة الى تملكه ويسقط الطائر دون مقاومة أمام رغبـــة الامبراطور العارمة ويرقص حتى يموت أمام الحاشية التى ترمقه بنظرات خاشعة حزينة ٠

كل مافى المسرحية مليىء بالدلالة : رقصة الطائر الذى اختار مصيره حراكات الحاشية الصامتة نظرات الامبراطور التائهة الموسيقى الحالمة منذ مطلع الرواية حتى انتهائهـا الثياب الملونة الزاهية الديكور البسـيط الذى يعتمد على شجرة كبيرة ملآى بالفروع ٠٠ ورغم عمق الفلسفة التى يمكن استخلاصها من هذه المسرحية فان اتجاهها الاجتماعى والروحى اتجاه واضح لالبس فيه ٠

هذه الرمزية والشاعرية العفوية نجدها فى مسـرحية الكابوكى ٠٠ شوجو ـ التى تروى قصة ابناء قرية فى مطلع

شبابهم · ينتظرون موعد زواج صديق لهم ويذهبون الى البحر لتأمل زرقة أمواجه عندما تظهر لهم من خلال زبد الأمواج ـ شوجو ـ التى تمثل لهم براءة الطفولة وسذاجتها ··فترقص لهم مشاركة افراحهم · وقبل ان تتم رقصاتها نراها وقد اختفت دون مبرر فى أمواج البحر التى تناديها · بينما ترتفع أصوات المحتفلين بالعرس داعية الشباب الى دخول الدار ·· ويلبى الشباب النداء ساهمين ·· حالمين ·· المسرحية أشبه ماتكون بدعاء شعبى وتأمل ساذج لما يحيط بنا من مشكلات أزلية لاتحل : مرور الزمن ·· السذاجة الضائعة ·· وهم الجمال · انها شبيهه بفرقة الألوان الراقصة الصامتة التى كانت تقوم بها فرقة لوركا المسرحية ـ الباراكا ـ امام شعب اسبانيا الغارق فى حزنه الرومانتيكى الأسر ·· على أنغام غيتار خافتة ·· وفى ليالى القمر المشرقة حيث تطغى رائحة الياسمين ·

ان العالم الذى يحيا فيه المسرح الآسيوى واخص بالذكر المسرح الصينى الذى لم أستطع التحدث عنه اليوم وربما عدت لشرحه فى مقال قريب والهندى والياباني عالم لازال مغلقا فى وجه الجمهور الغربى ووجه الجمهور العربى الذى طبعه المسرح الأوربى بطابع خاص يصعب التخلص منه ·

ولعل عودة بعض كبار مسرحى القرن العشرين كبرخت ودورنمات وبيسكاتور وسواهم الى الأصول الآسيوية يستمدون منها مواضيع وطرقا جديدة وأساليب

مبتكرة للمعالجة والاخراج والتعبير المسرحى لتدل دلالة واضحة على ان فراشات الشرق وغلائله الملونة الشفافة قد آن لها أخيرا ان تنطلق من سمائها الزرقاء التى لاغيم فيها الى سماء أخرى .. رمـــادية قاســـية مضببه مـــلآى بالعواصف .

وان فى نجاح روح تشوان الطيبة ودائرة الطباشير القوقازية التى عاد فيها برخت الى البنيان الصينى المسرحى والى طرق التعبير المختلفة التى امتاز بها مســرح الصين التقليدى بما فى ذلك استعمال الاقنعة والتمثيل الايمائــى كما فى (دائرة الطباشير) .. خير برهان على ان الجمهور - الأوربى أصبح يحيا فى وضع نفسى ملائم يهيئه لتقبل هذا اللون الرائع الجديد من المسرح .

ولكن أين يقف شرقنا . شرقنا الغارق فى أوربية زائفة والبعيد عن الشرقية الأصيلة الحقة ؟؟

شرقنا الذى لايدرى من أمر مســرحه وقيمه الروحية والجمالية شيئا .. أين يقف من هذا المســرح العريق ؟ وماهى ردود فعله تجاه أساطير الروح الملونة .. وأمام هذا الطائر الأبيض الذى اعتـــاد أن يرقص أمام الغيوم رقصة الحرية .. والذى يصطاده الأمير النبيل .. فيترك نفسه بملء اختياره يسقط فريسة حيـــة ويرقص فى هذا البهو الكبير وأمام شجرة باكية حزينـــة ورجال صامتين خائفين رقصة الموت ؟؟

- ١٩٦٤ -

ستانيسلافسكى (*)

فى السابع عشر من شهر كانون الثانى عـام ١٩٨٨ تكون مائة وخمسة وعشرون عاما قد مــرت على ولادة ستانيسلافسكى الفنان ومفكر المسرح العبقرى ٠

ستانيسلافسكى هو بدون شك أحد الركائز الأساسية لفن المسرح وأصوله الحديثة فى العالم أجمع ٠ وان تاريخ حياته هو تاريخ عصر من تطور الأفكار الفنية والثقافية للمسرح وبقية الفنون فى روسيا والعالم ٠ أسس المسرح الشهير المعروف تحت اسم « مسرح الفن فى موسكو » ٠

(★) ألقيت هـذه الكلمة بمناسبة الاحتفال بمولد ستانسيلافسكى فى دمشق ٠

كما أسس معاهد كثيرة اخرى ودخل عالم التمثيل كممثل ناجح ثم كمخرج تمكن مع الزمن أن يبتكر « طريقة خاصة » أصبحت تنسب اليه فى جميع مراكـــز الفن فى العالم ٠

واننا اذ نحتفل اليوم بذكرى ولادته فلأن تأثيره على الفنون المسرحية لم يكن ليقل عما قدمه (سوفوكل) للمأساة اليونانية أو ماجدده شكسبير فى عالم المسرح ٠ انه انسان فنان انسان عالم،وليس لهذا النوع من البشر من وطن ٠ ان انسانا من هذا النوع هو ملك البشرية جمعاء ٠٠٠ ملك الحضارة الانسانية اينما وجدت ٠ وحيثما اثمرت ٠٠ أقول أثمرت لأنى أرى وقد أكون متفائلا فى قولى ثمار انبعاث فنى للمسرح وبقية الفنون فى بلدنا الصغير ٠ قد لانرى هذا الانبعاث كثيرا فى صالات العرض وبطون الكتب ٠ ولكن يمكننا ان نلمسه ونشـــعر به بـــدون أى شك لدى الالتقاء بالنفوس الشابة المتواقة التى احاطت الحركة الفنية الوليدة فى بـــلادنا بكل شـــجاعتها وايمانهـــا وحبهـــا وتضحيتها ٠ وأنى اذ أقدم ـ هذه الكلمة احتفالا بهـذا الانسان العظيم٠فانى اهديها الى أبناء بلادى ٠ لأنى أشعر بصلة وثيقة تربط بين نفسى وهذه النفوس الشابة صـلة لابد لها من ان تساهم يوما فى تدعيم كيان الخلق الفنى وانتشار الثقافة المسرحية على انها الغذاء اليومى للناس اينما كانوا ٠

عاش ستانيسلافسكي ٧٥ عاما ولد في موسكو عام ١٨٦٣ وتوفي عام ١٩٣٨ · كانت أسرته على درجة من الثراء · يعمل أفرادها في الصناعة والتجارة · وكان الجو الاجتماعي الذي ترعرع فيه مخرجنا جوا مترفا بعض الشيء ·· فمنذ طفولته ومراهقته أخذ يمثل ويرقص ويغني في احتفالات الأطفال واعيادهم ورغب ان يتعلم التمثيل الدرامي ، ولكنه تركه بعد ثلاثة أسابيع لخيبة أمله باساتذته ·· وعاد للانخراط في حياة مجتمعه حيث أخذ النشاط الفني بمختلف وجوهه لون التظاهر الذي لايخلو من بعض التشجيع من قبل الاثرياء الذين يتبنون هذا الموسيقي أو ذاك ·· هذا الجو الفكري سهل عليه بعض الشيء الانخراط في الفعالية الاجتماعية حيث أسس الجمعية الموسكوفية للفن والأدب ولعله يجدربنا ان نشير الى أنه عاصر في بلاده تطورات هامة من جميع الوجوه وذلك في ثورة ١٩٠٥ التي فشلت ثم ثورة ١٩١٧ كما عاصر المراحل الأولى للمجتمع الروسي الجديد ·

كان ستانيسلافسكي ثائرا كبلاده في ذلك العهد ولكن ثورته انحصرت في الميدان الفني · وخاصة ميدان المسرح · ومن يقرأ كتابه « حياتي في الفن » يشعر بالرغبة الدائمة لدى هذا الفنان بالتجديد وتطوير الأمور والأصول مدفوعا

دوما برغبته فى التقرب من الحياة والواقع ، وما دامت طريقته لم تتم الا على مراحل تطورت حسب تطور حياته وتقدمه فى السن لذلك رأينا من المناسب ان نستعرض مذهبه الفنى من خلال حياته ولعل أفضل طريقة نتبعها هى ان نسلك تصنيفه الشخصى لحياته بحسب ما أوردها فى كتبه فهناك مرحلة الطفولة الفنية ثم المراهقة الفنية • ثم مرحلة الشباب الفنى وأخيرا مرحلة النضج الفنى •

ستانيسلافسكى هو اسم فنى مستعار اما الأسم الحقيقى للفنان الذى نتحدث عنه فهو كونستانتين سيرجيوفيتش أوسيف • ومنذ السابعة عشرة من عمره انخرط فى الأوساط البورجوازية الصديقة لأسرته والتى كانت الحياة الثقافية هى مجال نشاطها الاجتماعى • فمن أصدقاء أسرته مثلا كان مؤسس صالة الفن الشهيرة فى موسكو ومؤسس المتحف المركزى ومؤسس فرقة خاصة للاوبرا وغيرهم •

١ ـ مرحلة الطفولة الفنية :

كانت أسرته من تلك الأسر التى تهتم كثيرا بتربية اطفالها والاعتناء بصحتهم وتوجيههم الجسدى والروحى لذلك فان الانطباعات الفنية الأولى لستانيسلافسكى فى مجالى الاوبرا ورقص الباليه قد لاقت فى نفسه ميلا

وزادت من حبه وتعلقه بهذا العالم المسحور المدهش الذى يسمونه عالم ماوراء الكواليس · على أنـــه اذا كان منذ طفولته قد أظهر رغبات وطاقات كثيرة نحو العلم والمعرفة وتتبع الوسائل الخلاقة وتربية ارادته على الجـرى وراء كل ماهو مدهش فانه منذ صغره ابدى نفوره من الطـــرق الروتينية فى التعليم والتوجيه ·· على ان فناننا لم يتلق العلم العالى فى الجامعات ولم يدرس وفق مخطط منهاجى معين · والطريق التى اختارها فى تربية ذاته وفق ميوله هى طريقة التعليم أو التثقيف الذاتى ولسلوك هذه الطريق لابد من ان تكون الطبيعة قد وهبته فن الملاحظة النافذة التى تجعله يهضم بسرعة انطباعاته عن مشاهداته للاعمـــال الفنية الكبرى ولـــا يقرأ ــ من كتب ولما يشهده من سلوك الناس فى حياتهم اليومية وكان يعرف عنه انه يستطيع ان يفوز من محدثه بما يريد · وان يجعل محدثه يهتم بمـــا يريده هو ·

٢ ــ مرحلة المراهقة الفنية :

فى الرابعة عشر من عمره لعب ستانيسلافسكى لأول مرة دور استاذ رياضيات ثم دور موظـف فى ملهـــاتين صغيرتين نظمها فريق من الهواه فى دار أســرته · وكان لأسرته واقربائه مسرحا صغيرا قرب موسكو يتالف ممثلوه من هواة الفن فى عائلته · ومثل ستانيســـلافسكى معهم عشرات الأدوار الكوميدية ــ والراقصة التى فيها غنـاء

فاكتسب بذلك تجربة شخصية كبيرة ساعدته فى استكمال أصول تنظيم امكانياته الفنية:صوته وطريقة الالقاء والاداء وجمال الحركات وانسجامها · وتحسسه بالتوقيت والايقاع وغير ذلك · وكانت الكوميديات الشعرية هى المرحلة الأولى لستانيسلافسكى للانتقال الى الفن الدرامى فيما بعد وثم مالبث ان ترك فرقة الهواة التابعة لاسرته وانخراط مع بقية فرق الهواة هنا وهناك ·

فى هذه المرحلة من حياته أخذ ستاينسلافسكى بتقليد كبار الممثلين وخاصة ممثلى مسرح مالى سواء طريقة الأداء أو الالقاء أو الحركات ولكنه سرعان ماشعر واستخلص أنه لا يمكن أن يتوصل الى الفن الدرامى الحقيقى الا اذا سلك السبيل الذى تفرضه عليه طبيعته الخاصة وميوله الذاتية · على أنه اذا تجنب التقليد فقد تتبع أساليب دراسات من سبقه بحيث أنه كان يعتبر أن مصدر فنه يعود الى أدب ومسرح القرن التاسع عشر · وقد اهتم خاصة ببعض الكتاب الروس أمثال غوغول وبوشكين وأوستروفسكى الذين وضعوا الخطوط الكبرى للواقعية فى المسرح وقد أصبحت كلمة شيبكاين التى يقول بها « ان الفن يزداد سموا بالقدر الذى يقترب فيه من الحياة الطبيعية » أصبحت هذه الكلمة قاعدة فى فن ستانيسلافسكى فيما بعد ·

كذلك تأثر الفن المسرحى لدى ستانيسلافسكى بالممثلين

الفرنسيين الكبار أمثال كوبيلين وســـارة برنار والممثلين الالمان وقد شهدهم فى بلادهم خلال اسفاره أو فى موسكو ولكنه كان يعجب خاصة بالممثلين الطليان الذين يجمعون بالنسبة اليه بين الكمال الفنى وصدق الشعور والأحاسيس ٠

وتعرف فناننا الى كثير من كبار فنانى عصره وخاصة فى موسكو : وتأثر بهم فى أفكـاره وتذوقه الفنى وتعرف بالاضافة الى أساتذة الفن الدرامى بالممثلين والموسيقيين أمثال تشايكوفسكى وغيره ٠ وظهر تأثير هؤلاء عليه بعد ان قام بنشاطه فى اخراج الاوبرات ٠

٣ ــ المرحلة الفنية فى سن الشباب :

يعتبر ستانيسلافسكى بدء هذه المرحلة فى عام ١٨٨٨ حيث أسس مع بعض المخرجين «جمعية الفن والأدب» التى كانت تجمع ممثلين عن جميع الفنون بالاضافة الى فرقـــة من الممثلين الهواة ٠٠ ولعب ستانيســلافسكى دورين فى هذه الفرقة دور البارون فى تراجيديا بوشكين « الفارس البخيل » ودور ســـوتقيل فى كـــوميديا موليـيـــر » جورج داندان « وكان لهذين الدورين أثر كبير فى شهرة الفنان الهاوى ستانيسلافســكى فى مختلف الأوساط الفنية فى موسكو ٠ وبالاضافة الى مواهبه وحيويته فقد كان حسن المظهر وجذابه الأمر الذى ساعده فى ازدياد شهرته كذلك امتاز فنه بالكمال الفنى ونفوذه الى أعماق الحياة ٠ وترك لنا ستانيسلافسكى فى مذكراته اسطرا عن بدء حياتـــه

الفنية الحقيقية عندما كان يبلغ من العمر ٢٦ سنة يقول فيها « ان السبيل القويم هو بدون شك ذاك الذى يقود الى الحقيقة الى الحياة » ثم يقول يجب ان يرى الانسان نفسه بنفسه · يجب ان يفكر ويتطور خلقيا ويشحذ ذكاؤه دوما ·

وظل ستانيسلافسكى عشر سنوات فى جمعية الفن والأدب ومثل العديد من الأدوار الكوميدية والتراجيدية للكثير من المؤلفين الروس والاجانب وخاصة لشكسبير حيث قام بدور (بنديك) فى مسرحية كثير من الضجة من أجل لاشىء · ودرر (مالفوليو) فى مسرحية الليلة الثانية عشر أو ليلة الملوك ودور عطيل فى المسرحية المعروفة باسمه · واكتسب ستانيسلافسكى الكثير من التجارب الشخصية فى الفن خلال هذه الفترة · واستفاد من ملاحظته لكبار الممثلين الذين كان يمثل معهم ·

ولكن التمثيل الذى أصبح أحد مشاهيره لم يكن المجال الوحيد الذى قامت عليه شهرة ستانيسلافسكى التاريخية والفنية فبعد أن اتقن أصول فن التمثيل هضم فى ذات الوقت فن الاخراج المسرحى الذى قاده لأن يكتشف طرقا جديدة فى الفن هى التى بقيت لنا منه ·· وهى التى جعلت اسمه المسرحى يبقى شامخا فى ضمائرنا وفى ذاكرة التاريخ المسرحى ·

ـ ١٩٨٨ ـ

هيكوب والطرواديات

● اوريبيديس ·· والانسان ·· والحرب

● شاعرية مكللة بطين الأرض ·· أين منهـا شـاعرية لوركا ·

● شخصيات أسطورية ذات رصيد انسانى مستمر ·

كلما قرأت واحدة من هذه التراجيديات التى كتبهـا المؤلفون اليونان كلما شعرت بالهوة السحيقة التى أصبحت تفصل بين مسرحنا الحديث ومسرح الشمس الدائمة ··

هذا الشعور المتكرر قد انقلب الى شعور مؤلم واحساس

بالنقص مريع ·· بعد ان قرأت تراجيديا (الطروادیات) لأوربيديس ·

شخصيات واضحة تقف أمام نفسها وأمام مصيرها وقفة الأبطال · حادثة واحدة تتشعب لتروى حوادث مختلفة كلها تعود لتنصب فى تيار واحد ·· هو عظمة الانسان وقدرته على الوقوف والصمود تجاه كافة القوى التى تعانده ··والتى تمنعه من تحقيق شرطه الانسانى العجيب · ثم هذا التكامل فى البناء الدرامى · ليست هناك كلمةواحدة يمكن ان تضاف ·· أو كلمة واحدة يمكن ان تحذف ·· بناء عجيب تضافرت فيه كل كلمة ·· كل حادثة ·· كل همسة ·· كل نغم ·· لتخلق (كلا) شاهقا جبارا لايمكن ليد انسانية أن تكتب مثله أو أن تدانيه ·

شخصيات مذهلة رصيدها الانسانى كثيف لدرجة يجعلها تستمر الى الأبد خالقة حولها هالة من التساؤلات والتفاسير والشروح تعود كلها الى نتيجة واحدة · ثم هذا الضباب الشعرى الذى يغلف كل واحدة منهذهالشخصيات ويعطيها مدى واسعا فسيحا تزيده انسانيتها المتدفقة عمقا واصالة وديمومة ·

ماذا روى اوربيديس فى (طروادياته) ؟ سقطت الطروادة الكبيرة بين ايدى اليونان الغزاة وأمتلأت السماء والبحر بأصداء الاحجار المنهارة وببريق النار التى تشتد

لتلتهم كل مابقى من هذه المدينة الزاهـــرة ذات الماضـــى المجيد ·

وأمام حطام مدينتهن كانت تقف النســاء الطرواديات مجللات بالســـــواد يذكــرن ماضـــــى بطولاتهن والآمهن ويستجمعن مابقى فيهن من قوى ليواجهن مصيرهن الجديد ·

مع هاته النسوة السود تقف هيكوب ملكة طرواده وأم هكتورو باريس وكاساندرا ترثى نفسها وأولادها ومصيرها ومدينتها وتنتظر مجيىء ــ الغزاة ليحددوا لها مصـــيرها الجديد ·

ويأتى القائد اليونانى المنتصر ليقرأ لها الحكم الرهيب : ستذهب كل واحدة من النساء الطرواديات فى اتجاه كاسندرا عذراء الهياكل والعرافة ستكون رفيقة لاوليس فى رحلته · اندروماك ستذهب الى بلاط اغاممنون وتنسى بين أحضانه ذكرى زوجهـــا البطـــــل الطروادى ــ هكتور ·· وهيكوب ستذهب لتكون خادمة فى معبد (اثينا) الآلهة التى انزلت بحقدها الأسود المصائب كافة على طروادة ·

اما البحر فهو الذى سيلتهم صرخات نساء طرواده المجيدات اللواتى سيهجرن بلادهن الى الأبد تاركات ضريح أولادهن وأزواجهن ليعشن تحت سماء المنفى ·· عيشة العبيد ··

وتقف الطرواديات لينشدن أغنية الانســـان والحرب ينشدن القيم الانسانية المنهارة ونهـــاية الطغيان المحتومة وذكرياتهن مع الرماد ٠

تقف هيكوب وتذكر كيف كانت تؤمن بالانسان وتعجب كيف يمكن لهذا الانسان ان يقتل وان يطغى ٠٠ وان يستبد ٠٠ تذكر أولادها تذكر مصائبها ٠٠ ثم تستجمع شـــجاعتها الخارقة لتتحدى بها الآلهة والسماء والأرض ٠ انهـــا أم وانسانة لذلك فان نظرتها الشاملة الى الكون هى التى تحدد مكانها وتعطى معنى لآلامها ٠ وتنهال المشاهد الشعرية المذهلة بعد ذلك انهيالا ويصبح القارىء امام تيار سريع من الصور الغامضة المسحورة ٠ ومن الكلمات التى تستمد قوتها من الأرض من الطين من الدماء من الخنجر المصبوغ ومن الدمع المتحجر ٠

فهاهى اندروماك تتقـــدم وطفلهـــا بين يدها لتواجه مصيرها الجديد فى قصر اغا ممنون ولكن الطغيان الذى لايعرف الرحمة يأمرها بأن تلقى بابنها من على أســـوار طروادة ٠٠ وان تذهب جسدا وحيدا الى مخدع الغازى الجديد ٠

نستمع اليها مطرقين ترثى نفسها وابنها ومصيرها الأسود وماضيها الحافل بالاصداء ٠ كيف يمكن لقارىء ان يحب أى نشيد شعرى رثائي بعد أن يقرأ هذه المقاطع الأليمة؟ ٠٠ كنت أظن ان شاعر الأسبان لوركا قد قال كل شىء حين

تحدث عن الاحشاء عن الدم ٠وعن الطفل الغائر الجرح الذى يلعق بقايا الحليب من ثدى أمه ٠٠ ولكن أين لوركا وعاطفته الملونة من هذا الشعور الأسيان المتدفق الذى تقال فيه الكلمة وكأنها تخرج ندية من التراب بل كأننا نسمعها لأول مرة ٠٠ ذات عطر وموسيقى وصدى لامثيل له فى الكلمات الانسانية ٠٠ ؟

وتلقى اندروماك بطفلها كما تلقى كاسندرا بالاربطة المقدسة التى تربطها الى معبد الآلهة وتذهب سبية الى سفينة اوليس مليئة الفخر والفرح الوحشى لأن عينها المتنبئة قد ارتها الفواجع التى ستصيب اوليس ومن بعده شعب اليونان كافة لذلك تهرع الى مصيرها وابتسامة الفوز والثأر على شفتيها ٠

وها هى (هيلين) سبب المصائب كلها تتقدم عارية تكسوها الجواهر ٠ فى ثوبها الأحمر المكسو بالفضيحة والألم ٠٠ تطلب الرحمة من زوجها (مينلاس) جاعلة من الآلهة والأقدار السبب الاول لهربها والسبب الأول للحرب القاسية الضروس ٠

وتفقد هيكوب وعيها ٠٠ وتحدث هيلين بكلمات مليئة بالواقع (كونى انسانه حقة ٠٠ تحملى ماعليك من مسئولية واجهى الأحداث ٠ لا ٠٠ لم تكن الآلهة التى دعتك الى الهرب ٠٠ انه جسد ابنى الشاب (باريس) الذى رمى فى قلبك الشعور باللذة « انه جسده العارى المجلل بالقراء

الوحشى · أنه شعره الذهبى الذى يكلل جبينه المراهق أنه جسدك العجوز ·)

وتقف هيلين الحمراء بجسدها النشوان بين هاته النسوة المجللات بالسواد قطعة حية من لحم صارخ··ومن مسئولية لاتعرف اين تستقر ·

اين هذا المشهد الجنسى الملىء بالعبق··من كافة المشاهد الجنسية التى امتلأ وزخر بها مسرحنا الحديث أين ويليامز وأونيل وميللر ·· ليقرأوا ·· عجزهم أمام هذا العالم الفاحش الثراء · حيث كل لكلمة تحدد معنى ومصير ·

وتبدو فى نهاية المسرحية (اثينا) تعلن للالهة انها ستصب جام غضبها على السفن اليونانية المنتصرة ·· وانها ستغرقها جمعاء ويسير الغزاة لليونان منتصرين جاذبين وراءهم اسيراتهن المجيدات ، ينشدون أغنية الفوز دون ان يدركوا انهم فى طريقهم الى الفناء · تاركين هيكوب تقول بهمس هذه الكلمات المليئة بالالم ·· (والآن ماذا سننتظر ايضا ·· ماذا سننتظر من الآلهة ومن البشر على السواء ·· ؟)

فى هذه اللحظات الحالية التى تقف فيها الانسانية مع نفسها وقفة مترددة ترن اصداء مسرحية (اوربيديس) رنينا خاصا · لتمجد الانسان وتعود به الى وعيه والى انسانيته ولتلعن الحرب والدم والعفن لعنة خارقة ·· لامثيل لها فى المسرح العالمى كله ·

— ١٩٨١ —

تيتوس اندرونيكوس

انى احبها ·· هذه الجوهرة السوداء المشئومة · التى تختفى متوحشة بين كافة أعمال شكسبير فريدة بوحشيتها وفى خيالها البربرى ··

انها لاتنتمى الى هذه السلسلة من المسرحيات التى تضع امامنا أشخاصا عظاما يتألمون ويصرخون أمام السماء التى لاتنتهى ألهم المذهل الهائل · اننا بعيدون عن الأمير الأسود وجمجمته التى يحملها كالتعويذة يسألها ويسأل نفسه · بعيدون عن الدماء التى لطخت يد ماكبث وزوجه ويعيدون عن هذه الحرباء ذات العيون الخضر التى أكلت قلب عطيل ·· واحشاؤه · اننا أمام أشخاص أقرب الى

العادية منهم الى الاعجاز يعيشون احداثا هائلة لايعرفون كيف تقع ولا يدركون من أين تاتيهم ٠

نعم انى أحبها هذه المسرحية المشئومه التى ملأهـا شكسبير دما وضجة وعنفا أحبها كما أحـب قطـرة دم منسية اكتشفها على ورقة خريف مطفأة ٠٠ أحبها لأنهـا تجعلنى أرى وجه شكسبير الحقيقى ٠٠ وخياله الملـىء بألف صرخة وأشباحه التى اراها ترقص حوله فى ليلـة مقمرة قاتمة رقصة وثنية فيهاسحروغموض ونشوة ٠أحب هذه الشخصيات التى تقف أمامنا فزعة لاتدرى شيئا من أمر الهول الذى اصابها ٠٠ ولاتسأل عن أسبابه كأنه قدر محتوم ٠٠ وتنتظر مذعورة الهول الذى سيحل بها ٠

اننى كلما قرأت هذه السطور المخيفـة التى كتبهـا شكسبير فى ٠٠ تيتوس اندرينكوس ٠ أشعر بالرابطة المتينة التى تصل بين النفوس المعذبة فى كافة الأزمنة ٠ أشعر كيف يصل الخيال بين شكســبير وزمنه البعيد وبين المركيز دوساد ولاترمون بل حتى ادغار الآن بو وكافكا ٠ أشـعر بالبشر وكأنهم يعيشون فى غرفة ملتهبة مشعه يبحثون فيها عن نور أكيد ثابــت ويقينــى يأتيهــم من مكان ما ٠٠ يبحثون عنه ويبحثون ٠ ويدورون بصــورة منتظمـــة لا تنقطع حول انفسهم ثم يكتشفون ان هذا النور ليس الا لهبا ينبعث من عين عنكبوت عملاقة ستفتك بهم بألف يـد تبرزها من احشاء دمويه مليئة بالضباب السام ٠

هذه المسرحية ليست الا الصرخة المنقطعة النظير التى نبعثها عندما نشعر بعجزنا عن مقاومة أظافر العالم التى تنشب فى أجسادنا ٠

وكم هو رائع شكسبير فى تصويره هذا العالم الموبوء من خلال ٠٠ شخصيات واحداث لا ينساها من يقرأها أو من يشاهدها مرة واحدة فى حياته ٠ امرأة يقتل زوجها أمام عينها المذعورة ٠٠ ثم تغتصب من قبل قاتليه متخذين من جسده الذى لازالت الحرارة تدب فيه والدم يسيل منه وسادة يوضع عليها جسد الفتاة التى يغتصبونها ، ولا يكتفى شكسبير بهذا المشهد المريع بل يصل بخياله الدموى الى أبعد من ذلك ٠

فبعد ان تتم عملية الاغتصاب ٠ يتهم المعتدون شقيق الفتاة بالجريمة ويقطعون لسان الفتاة وذراعيها كى لاتشى باسم الجناة أو تكتبه ٠٠

وعندما يحاول الأب المسكين الذى كان له الفضل الأول بانقاذ روما من الغزو الأجنبى ٠٠ عندما يحاول ان يشفع لولديه يطلب منه الملك ان يقدم ذراعه المجيدة كى يعفو عن ولديه ويقبل الأب المفجوع ويقطع ذراعه ويرسلها دامية حارة فيعيدها الملك اليه مصحوبة برأس ولديه ٠

هذه الاحداث المذهلة وهذا الخيال المشئوم ٠٠ هل وضعها شكسبير عبثا أم رغب بصورة غير مباشرة ان

يطلعنا على هذه القدرة الهائلة على الهدم والتخريب والجريمة التى تكمن فى نفس كل منا ·

هذه الصورة الفاجعةالرهيبةالتىينهىبهاالكاتبمسرحيته والتى يصور بها كيف ثار الأب تيتوس لنفسه بعد ان اكتشف الجناة الحقيقين فيقتلهم ويجعل من دمهم وعظمهم معجونا يصنع به فطيرة دسمة يخفى تحتها رؤوسهم المقتولة ثم يدعو والدتهم كى تأكل من لحم ولديها ودمائهما ثم تكتشف مذعورة بعد ان تتم طعامها رؤوسهما الميتة التى تختفى وراء الفطيرة المشئومة ·

هذه الصورة المذهلة بوحشيتها أليست مصدرا لخيال دموى جامح استغله فيما بعد هذا الفيلسوف الكبير الذى لا زالت كتبه تختفى عن الانظار ولازال كبار النقاد يدعونه بالكاتب المشئوم واعنى به المركيز دوساد – الا يمكننا ان نربط هذه الاحداث المريعة الشاحبة وبين صفحات لاترومون – المليئة بشاعرية الدم والدود والجماجم » ·

لا أظن أن شكسبير حين كتب هذه المسرحية العجيبة وهو لا زال فى سنى شبابه الأولى كان يقصد أن يصور احداثا مرعبة فحسب ··· بل يخيل لى ان الشاب شكسبير قد رمى من وراء تيتوس اندرينكوس – ان يصور لنا عالما يتخيله · عالما سيأتى · يصبح فيه العنف مبدأ والجريمة مبررة والوحشية لها اسبابها · وكم تبدو لى هذه المسرحية

فى هذا القرن بالذات الذى رأى مارأى من ضروب واحداث دموية وتعذيب واستهتار بالقيم الانسانية وتمجيد للعنف والقسوة والقنابل الذرية والتسلط العضلى ،

كم تبدو لى كاشفة رائعة تذكر لنا دون حياء لكل مايكمن فى نفس الانسان من قوى مدمرة طاغية ثم تضع أمامنا ـ هارون ـ الأسود ليقول قبل ان يموت فى نهاية المسرحية هذه الجملة التى يصح ان يعتبرها بعض فلاسفة القـــرن العشرين مبدأ « انى لست آسفا على جرائمى ·· لأنهـــا هى التى تبررنى واذا اصابنى الندم يوما ··

فسأندم على عمل خير صدر منى دون ان أرمى اليه ·»

ترى هل كان شكسبير يكتب ـ تيتوس اندرينكوس ـ وهو يتخيل زمنا قريبا سيحياه العالم من بعده ·

زمنا نأكل فيه احشاءنا ونقطـع فيه اذرعنـــا ونلون ميادئنا ثم نبتسم ضاحكين ··· مزهوين منادين بعظمة الانسان واشعاعه ؟

ـ ١٩٨١ ـ

رجلان .. ومسرحيتان

رجلان .. ومسرحيتان .. وموضوع واحد .. الأول لوب دوفيجا واحد من الذين اسسوا الأدب المسرحي الأسباني .. بل الأدب المسرحي فى العالم اجمع .. كاتب اجتمعت فيه الحساسية الشعرية .. مع المعالجة العميقة لموضوعات جليلة ما انفكت تشغل اذهان الانسانية .. منذ وعت الانسانية ـ مصيرها وشرطها وحدودها .

والثانى .. رجل المسرح الوحيد فى القرن العشرين .. الكاتب الذى لازال مسرحه الأول فى عصره والذى لازالت نظرياته المرنة التى تعبر عن اتجاهه واهدافه .. الشغل الشاغل لكافة من عمل فى المسرح مهما كانت جنسيته واهواؤه ،

وأقصد به المسرحى الألمـــانى الفذ ــ برتولت بريخــت •
كاتب من القرن السادس عشروآخرمنالقرنالعشريناختارا
موضوعا واحدا الفا حوله مسرحيتيهما فاخــرج لنا الأول
مسرحيته التى دعاها ــ فونتوفيخونــا ــ وكتب الثانـــى
واحدة من أجمل مسرحياته ودعاها ــ ذعر وانهيار الرايخ
الثالث ــ الموضوع الذى تدور حوله كلتا المسرحيتين هو
الانسان والطغيان ••• موقف الرجل العادى من هؤلاء
الذين يفرضون الاحكام على روحه وقلبه وعواطفـــه ••
موقفه من هؤلاء الذين يسخرون عقله وامكانياته لخدمـة
مبادىء لا يقرها ولايمكن لانسانيته ان تقرها وسلبيته التى
يمكن ان تؤدى الى كارثة العبودية التى لا مفر منها ولانجاة
•• أو ثورته العادلة التى يملكنها ان تصبغ حياته كلها بهذا
اللون القرمزى العجيب الذى يسيل من شرايينـه والذى
يطبع طريق حياته المضطربة كله بالمجد والثقة •

فى مسرحية لوب دوفيجا •• نجد الكاتب قد اختار حادثة
صغيرة تاريخية بنى حولها درامته الثرية : حاكم ظالم ••
الكوماندوز ــ يستمد قوته من الدين ومن القانون •• يأتى
الى قرية ــ فونتوفيخونا ــ ليطبق نظاما دكتاتوريا غاشما
لا اثر للحرية فيه •• كلمته هى الكلمة الوحيدة المسموعة
•• ورأيه هو الرأى الصواب •• ينتــزع الفتيـــات من
ازواجهن •• ويشجع الزوجـــات على الخيـــانة ويرمى
بالعذارى فى ايدى جنوده الشرهين ويقف سكان القريـة

المسكينة مذعورين تجاه هذا ـ الحدث ـ السياسى الذى لم يتعودوه بعد ·· وتبدأ القوى الشعبية بالالتفاف والتجمع ·· ثم تثور ثورة واحدة ·· وتقتل الكوماندور واتباعه وتضع رأسه على طرف حربة تزين بها الساحة العامة ويهب رجال القانون فزعين ·· هذه ·· بادرة خطرة حتى ولو كان الحاكم ظالما ، فان الثورة غير مشروعة وتبدأ سلسلة من المحاكمات الرغبة منها معرفةالقاتل الحقيقى ولكن الجميع يجيبون بصوت واحد لايتغير ·· ان المسئول هو فونتو فيخونا ·

تعذب الفتيات ولكنهن يجبن بكلمة واحدة بين الدموع (فونتو فيخونا) يضرب الشباب والشيوخ ولكن كلمة واحدة لاتتغير تتمتم بها شفاههم · حتى الاطفال لايخضعون لقوى القانون المدمرة ويصرخون باسمفونتو فيخونا ويضطر الحكام الى نسيان القضية لأنه لايمكن اعدام قرية بأجمعها وشعب بأجمعه ·

فى هذه الصورة البطولية الرائعة التى حدد فيها لوب دوفيجا الصراع بين الطغيان ·· والتجمعات الشعبية وقوة القانون يصعب على ان احدد أبطالا معينين أو شخصيات معينة فالكل فى مسرحية فيجا ابطال : لورنس العاشقة وفرناندو الثانى ·· وحتى مانجو الأبله · الكل يكافحون فى سبيل هدف واحد هو تأكيد كرامتهم ضد الطغيان وحقهم فى الثورة العادلة عندما تهان كرامتهم

الانسانية على يد رجل آخر مهما كان هذا الرجل ٠ ومهما كانت الأسس التى يرتكز عليها أسسا مقدسة ٠٠ أو دينية أو روحية أو قانونية ٠

هذه الثورة الرائعة ٠٠ لانجدها فى مسرحية بريخت ـ ذعر وانهيار الرايخ الثالث ـ نحن فى الفترة التى عاشتها المانيا بين عامى ١٩٣٠ ، والعام الذى نشبت فيه الحرب ٠٠ نحن أمام صور متعددة ٠ اختارها بريخت من مختلف قطاعات الحياة فى المانيا ٠ فنحن تارة فى مقر عائلة بورجوازية وحينا آخر فى منجم وثالثا فى سجن ورابعا فى مقهى وخامسا فى مطبخ كبير ٠٠ وهكذا يسير بنا المؤلف ليعرض أمامنا بلمحات سريعة كاشفة حالة شعب ٠ وتسلط طاغية ٠ يرينا بأسلوب لاحد لقوته ولتأثيره ٠٠ كيف تنمو الدكتاتورية ٠٠ من اللامبالاة ومن الخوف ومن عدم المقاومة ٠

كيف يخشى الأب ابنه ٠ والزوجة زوجها ٠٠ كيف تسيطر الدعاية الهتلرية على مرافق الحياة وكيف يسير الشعب الالمانى الساذج نحو الهاوية ٠

لا اثر للثورة فى مسرحية بريخت مع أننا نقرأها ونحسها وراء كل سطر ووراء كل كلمة ٠٠ هذه الثورة التى تمنى بريخت لو وقعت ٠٠ هذا التجمع الشعبى الذى كان يجب ان يتم فيقف فى وجه هذا السرطان الرهيب الذى مزق اللحم واماته خلال عشر سنوات متوالية ٠

مسرحيتان وعالم واحد · كاتبان ومشكلة واحدة أزلية ·· اثارت وستظل دائما تثير الكاتب أى كاتب حق ·· فى أى بلد كان وفى أى زمان كان ·· نحن والطغيان ·· ماذا علينا ان نفعل ·· هل نثور ونحقق كرامتنا كما فعلت فونتوفيخونا أم نصمت ونسير مذعورين خائفين وراء ـ ظل النسر المعقوف فندخل حرب لاهبة نفقد فيها انسانيتنا وانسانية سوانا ·· كما فعل رجال الرايخ الثالث ؟ سؤال كبير اجاب عليه لوب دوفيجا أجابة صارخة دموية ·· وعبر عنه بريخت بأسلوبه الذى لا يجارى ·· فتركا اثرين كبيرين يقفان كالجدار الشامخ ·· فى دنيا المسرح العالمى ·· تثيران تساؤلا وردودا لاينتهيان ·

ـ ١٩٦٦ ـ

كالدرون ، والحياة حلم

هذا الأدب المسرحى الذى شع فى اسبانيا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ·· ما أعجبه ··

لقد تناول كل شىء وعالج كل شىء من خلال شخصيات أسرة جذابة ومن خلال احداث اتسمت جميعها بصفة الديمومه نظرا لمعالجتها موضوعا انسانيا واحدا هو الانسان وصراعه مع القوى التى تحيط به ·

ان من يقرأ مسرحيات تيرسودو موليثا أو لوب دوفيجا أو كالدرون ، يقف مذهولا تجاه هذا السيل الجارف من الشخصيات الملونة ومن الاحداث المتداخلة ومن الشاعرية

الدفاقة التى لا اجد كاتبا آخر استطاع التعبير عنها بسهولة ويسر الا شاعر الانجليز (شكسبير) ٠٠

نعم ان أميز مايميز مسرح هؤلاء الكتاب هو « الحادثة الشكسبيرية » ان جاز لى هذا التعبير والبناء الدرامى الذى يعتمد على تداخل قصص متعددة لتكون آخر الأمر كـــلا واحدا جامعا يحل المشاكل كلها ويطرح قيد البحث مشكلة واحدة كبيرة هى بالضبط العصب الرئيسى للمسرحية وهى التى تدور حولها أفكار المؤلف وشاعريته ٠

من هذه المســـــرحيات العجيبـــــة الفذة اخترت اليوم مســـــرحية كالدرون الموحيـــة (الحياة حلـــم) ٠٠ هذه المسرحية أرادلها مؤلفها ان تكون كوميدية واختار لهـــا حادثة يمكن ان تسبب الابتسام حينا والقهقهة حينا آخر ٠٠ ولكن مع ذلك لم يستطع رغم براعته الرائعة فى خلق جو الكوميديا ان يمنع التساؤل الخطير الذى يحيط المسرحية بأجمعها والذى يعطيها كمالها واشراقها وأقصـــــد به هذه الحيرة التى تغلف كل نفس عندما تواجه قدرها وتتســـاءل عما تفعل حقا فى هذا العالم ٠

ملك كبير يحيا وحيدا مع زوجته فى قصـــــر ملـــىء بالأعمدة ٠٠ ينتظر طفلا ولكن النبوءات تشير اليه ان هذا الطفل اذا اتى فسيكون وحشا حقيقيا يهدم كل ماحولــــه ويعيث فى الدنيا فسادا وأنه سيكون مصدرا لقوة سوداء

همجية لاتترك من حولها شيئا · ويرتاح الملك الطيب ويتمنى للمرة الأولى فى حياته الا ينجب طفلا ·· ولكن السماء وكأنها تدبر أمرا ضد الانسان ترسل لهذا الملك الذى يئس من انجاب الاطفال طفلا ذكرا ، ويصاب الملك بالحيرة انه يؤمن بالسماء ·· وبعد التها يؤمن أنها لاتخطىء ·· وهذه السماء هى التى ارسلت له هذا الطفل ، ولكنها ارسلت له أيضا هذه النبؤة الرهيبة · ان هذا الطفل سيكون اداة شر لامثيل لها وانه سيذل والده ويطبق نظاما ارهابيا للحكم لاعدالة فيه ولارحمة·ويقع الملك تحت عاملين اما ان يقتل الطفل أو ان يرسله الى سجن مظلم ـ يقضى فيه حياته كلها · ويختار الأب الطيب القلب الحل الثانى · ويضع ابنه مقيدا بالسلاسل فى مغارة عتيقة لايدخلها النور فى أعمق أعماق الجبال ويضع على حراسة هذه المغارة رجل واحد هو كبير الوزراء والوحيد الذى أطلع على السر الرهيب · أما الطفل فيعلن أمام الجميع أنه قد توفى اثر ولادته ·

وهكذا يجمع الملك الرحيم بين عواطفه كأب وعواطفه كملك يتمنى لبلاده دوام الرخاء ·

من هذه النقطة الصغيرة التى تشبه الاساطير القديمة انطلق كالدرون لينسج لنا مسرحية فذة ضمنها بأسلوبه الشعرى كل نظرته للحياة ومشاكلها وجعل منها نورا

ساطعا يضىء أخلاق عصر بأجمعه ويعكس لنا شرط الحياة الحقيقي فى أسبانيا ذلك الحين ٠

تبتدىء المسرحية بوصول فتاة متنكرة ترتدى ثياب الرجال يتبعها أحد المهرجين ٠٠ نراها وقد ضلت طريقها فى الجبل لاتدرى كيف تتجه ٠٠ عندما ترى نورا بعيدا يشع من بين الاحجار فتهرع اليه لتجد امامها رجلا عارى الجسد موثقا بالسلاسل ٠٠ يصرخ للسماء وللاحجار الضـــخمة التى تحيط به مصابه وسر شقائه ٠ ونعلم من سياق الحديث ان الفتاة ابنة غير شـــرعية اتت لتفتش عن والدها الذى نبذها كى تثأر منه ٠٠ كما نعلم قصة الفتى السجين ٠

وتؤخذ الفتاة أو الفتى «كما يبدو» مع حاجبه الى القصر حيث نرى الملك وقد جمع كافة رجال الحاشية ليعلن لهم انه قد قرر أن يخوض تجربة مع السماء ٠٠ ان ولده لم يمت كما أشيع ٠ انه حـــى يرزق ولكن تخيم عليه نبوءة رهيبة سوداء وانه رغبة منه بتأكيد قيمة الانسان تجاه الاحداث الالهية سيخوض تجربة فريدة من نوعها ٠٠ سيعيد ابنه للقصر وسيدعه يحكم طيلة ٢٤ ساعة ٠٠ فاذا استطاع هذا الأبن أن يفوز على نفسه وأن يكون انسانا حقا ٠٠ أمكن له ان يحيا ٠٠ والا فانه سيعود الى مغـــارته ـ المهجورة وسيوهمه الجميع ان ماكان ليس الا حلما انتابه فى ليلـــة ارهاق ٠

.. ويتحقق مايريد الملك ، ويستفيق الشاب السجين ليجد نفسه ملكا يحكم .. هل يمكن لانسان مهما كانت قــوة ادراكه وتحكمه بأعصابه ان يواجه تيــارا كهذا دون ان ينجرف ؟ وهكذا نرى الأمير وقد استيقظت فيه كل بذور الهمجية الكائنة فى نفسه ينقلب سفاحا طاغية يقتل ويحرق ويهين ويغتصب ويقف الملك الشيخ ينظر الى هذه العاصفة من النار التى اجتاحت قصــره وينظر الى الأوراق التى قدمها مجلس الشعب للامير الجديد وقد تمزقت واصبحت طعاما للريح العابثة . ثم ينظر للسماء التى تشهد هادئــة تمرد الانسان واذعانه .

وينتهى اليوم المشئوم .. ويعاد الأمير الى مغارته .. حيث يستيقظ فى اليوم التالى وقد انتابته حيرة عجيبة .. أين كان ؟ ماذا فعل ؟ لماذا قتل وسفك ؟؟ لماذا أحب ؟ لماذا انتقم ؟ وتنهال الأسئلة من كل جانب .. أهذه هى الحياة اذن .. حلم ملون براق لاحد له ولا نهاية ؟

أهذه هى الحياة التى حرموه منها ويعود للنظر الى احجاره الصامتة وسلاسله المليئة بالصدأ والى انينه الذى يردده الصدى كلحن لاينتهى .

ولكن الأمور تتخذ مجرى آخر فى المدينة .. بعد أن علم الناس ان الأمير لازال حيا .. فينهضوا نهضة واحدة فى وجه الملك ويطالبون باعادته . لقد تصرف الأمير هذا

التصرف المجنون لأن ظروف حياته وقسوة والده ـ جعلته متوحشـــا ولو عاش حياة عادية لما فعل مافعل ولذلك يحق له ان يعبر عن ثورته وبطشه ٠٠ ولكن الانسان لابد له ان يعود يوما الى النور والى الفضيلة ٠ وتشتعل الثورة ويتجه فيلق الجنود نحو المغارة الحزينة يحرر الأمير الشاب ويعيده الى عرشه ويقف الشاب تجاه الاحداث الجديدة وقفة التامل ٠٠ وهذا أيضا ـ ٠ هل هو حلم جديد سرعان ما سيستيقظ منه ليجد نفسه مع الاحجار ٠٠ ام هل حياته مع الاحجار فى المغارة هى الحلـــم الموحش ؟ أين الحلم وأين الحقيقة ٠٠ ؟ ماهى مسئولياته وماهى الاعباء التى تحيط به ؟ ايمكنه ان يحب حقا ؟ ايمكنه ان يستمر فى عمل ما دون ان يشعر ان هذا العمل سينقلب الى دخان أزرق يختفى مع ظهور الفجر ٠٠

ويقرر الشاب ان يســـير مغمض العينين الى قـدره الجديد وليكن صالحا كى لايندم على حلم براق ربما أصبح كابوسا ٠٠ وليكن غفورا ٠٠ وليكن مليئا بالحب ٠٠ وتنهض شمس يوم جديد على المغارة القاحلة التى لم يبق فيها الا السلاسل المهجورة تنتظر عودة اميرها السجين ٠

من هذه الحادثة المركبة التى سير كالدرون حولهـــا مسرحيته ٠٠ تقف شخصيات متعـــددة تراقب الأحداث وتشارك فيها ٠ فهنا أميرة عاشقة وهناك وزير طموح هنا فتاة متنكرة وهناك شاعر جوال ، وجوه رائعة صـــائبة

تتكلم فى لغة كالاحلام وتضع شرطها الانسانى وعواطفها وآمالها فى بوتقه مليئة بالعطر والنغم ‥ نغمات كئيبة حينا وملأى بالبهجة أحيانا أخرى ٠

ومن وراء هذه الحوادث المتداخلة يقف كالدرون يتأمل الدنيا وقلبه مليىء بالحزن يسأل النجوم والسماء ‥ هل نحيا فى حلم ‥ وهل سنستيقظ يوما لنجد ان كل مافعلناه كان وهما ‥ هل سنفتح اعيننا لنجد أنفسنا فى قصر نحكمه ٠ ـ أم نغمضهما لنجد انفسنا سجناء مغارة منعزلة ملآى بالوطاويط السوداء وباصداء السلاسل الحديدية التى تنشد نشيدا اسيانا لاينتهى ‥ من يدرى أين نحن وماهى غايتنا ‥ وماهى المسرحية التى نلعبها ‥ اسئلة خطيرة لاتنتهى ‥ فى كوميديا ضاحكة كتبها سيد من سادة الدراما فى اسبانيا منذ مئات السنين ٠

ـ ١٩٦٦ ـ

من المؤسف أن تكون عاهرة ... !!

- عنوان وحشى .. لمسرحية شعرية ذات مدلول خطير
- عاطفة مستحيلة .. تبدأ بالهمس .. وتنتهى بالدم
- شخصيات تكاد ان تكون معاصرة بقلقها .

نحن فى مدينة بارم .. فى مساء حزين ملىء بالصمت والترقب .. وأمام رجلين يخرجان من أحد الأديـــرة .. ويتهامسان فيما بينهما بصورة تدل بوضوح على خطورة الحدث الذى يدور على شفاههما .. اما الأول فشـــاب فى مقتبل العمر .. جميل الوجه كالملائكة .. تحيطه هذه

الهالة العجيبة التى تحيط كل فتى فى الثامنة عشرة من عمره ·· يتكلم وكأنه يهمس ·· يندفع وكأنه يحلم · اما الآخر فراهب كهل ·· رأت عيناه كثيرا من أمور الدنيا يقف جامدا يستمع حينا ويعقد حينا أخر يده على صدره مغمضا عينيه ·· مستمعا وكأنه لايصدق الى هذه الكلمات المشئومة التى تنبعث كالخناجر من فم محدثه الشاب ·

ان جيوفانى يحب ·· يحب ·· الى درجة الجنون ·· الى درجة العبادة ·· وهذا الحب افقده كل سيطرة على نفسه ·· على أعصابه ·· على تصرفاته ·· انه لايدرى ماذا يفعل ·· والى من يلجأ هربا من هذا الحب ـ العجيب الخطر ـ والراهب يستمع دون حراك ·· متمتما بين حين وآخر ·· (انجو بنفسك ·· اهرب الى مدينة اخرى ·· ضع جسدك فى زنزانة) ··

هذا الحب المستحيل ·· الذى يتحدث عنه جيوفانى الى راهبه وصديقه ليس الا حبا اثما تلعنه الكنيســـة ·· ويلعنه المجتمع ·· ويحمل فى طياته بذور فنائه وفناء من يخترقه كالخنجر المسموم ·

ان جويفانى يعشق شقيقته الشابة (انابيلا) وهذا العشق أصبح مصدر حياته ·· وهدفهـــا الأول ·· وهو يعرف ان هذا الحب لاحل له ·· لذلك فهو يفكر ان يرمي

بنفسه فى احضان الموت ٠٠ هذا الوحش الأسود الذى
لاوجه له ٠٠ ولا مصير معروف فيه ٠٠

هذه البداية الرائعة المليئة بالعطر والنغم هى التى
اختارها الكاتب الاليزاباتى (جون فورد) ٠٠ ليدخل بها
الى موضوع درامته الرائعة « ٠٠ من المؤسف ان تكون
عاهرة » والتى توصل فيها بواسطة التصعيد الشعرى
لعاطفة خطره الى مرحلة التراجيديا الشعرية الاخاذة ٠

عجيب امرها هذه الفئة من المؤلفين التى عاصرت
شكسبير ٠ انها فى سذاجتها المسرحية وفى عواطفها
المشبوهة وفى شاعريتها المتوحشة قد استطاعت ان تعبد
الطريق الى هذه العبقرية المسرحية التى ستأتى خلفها والتى
ستترك فى عالم المسرح ٠٠ اثرا لاهبا مشعا لايزول ٠٠
ولن يضعف ٠٠

السذاجة والشاعرية ٠٠ وخطورة العاطفة ٠٠ هى
بالضبط مايميز مسرحية جون فورد (من المؤسف ان تكون
عاهرة) نضيف اليها هذه البراعة المدهشة فى خلق
الحادثة وفى تصوير شخصيات مختلفة تتجمع لتلقى على
بعضها أنوارا كاشفة تفضح أدق دقائق نفوسها المعقدة
المضطربة ٠

فى هذه المسرحية شخصيات عجيبة ٠٠ (جيوفانى)

الشاب العاشق وشقيقته المعشوقة (انابيلا) سورنزو الشاب اللاهى ·· الصورة الفاجعة ـ الأولية لدون جوان فاشـل الذى يدفع احدى النساء المتزوجات (هيبوليتا) الى قتل زوجها ·· ثم يتركها مهجورة مهملة ليلاحق بعواطفه انابيلا الحسـناء ، دون ان يرتـاب لحظـة واحـدة · ان هذه الفتاة الطاهرة قد رمت بنفسـها فى مسـتنقع العاطفة الخطرة وانها تحيا حياة حب آثم مع شقيقها ·· وان هذا الحب الأثم قد بدأ يثمر ثمرة مشئومة ·

ثم (فاسكيز) الخادم الأسبانى المتلاعب الذى يعمل بخدمة (سورنزو) والذى امتلأ قلبه بحقد لامبرر له ·· على البشر كأنه يريدهم جميعا ان يتخبطوا فى دهـاليز عواطفهم ·· يريدهم ان يصبحوا طائفة من الجثث التى يشيع منها العفن ··

ان خبرته قد جعلته يفهـم ان الجنس والهوى هما المفتاحان الرهيبان اللذان يهيئان له فرصة التسلط الأكبر على كل من يحيطه · لذلك فهو يستغل هاتين العاطفتين الى ابعد حدود الاستغلال ·· يعقد صفقة ثأر مع (هيبوليتا) العاشقة الخاسرة ضد سورنزو وضد انابيلا الحسـناء ويكشف لسيده عن علاقتها الآثمه مع شقيقها ·· ثم يعقد صفقة ثالثة مع أحد عشاق انابيلا لكى ييسر له السبيل اليها · ويخون عقوده جميعا ·· ولايشعر بانتصاره الحقيقى

الا حين يرى الجميع وقد تجردوا أمامه ·· واصبحوا
بقايا مسكينة يشع منها العفن ·

ان فاسكين هو الصورة الأولى الرهيبة لما سيصبحه
(اياجو) فيما بعد · الحقد الرهيب الأسود نفسه ·· ونزعة
التسلط والطموح·واحتقار العواطف البشرية واستغلالها·
أنه وجه درامي رائع ·

لا أريد في هذه العجالة ان اشرح « المسرحية » قدر ما
أريد أن ألفت اليها والى ميزاتها الانظار·فالمسرحية معقدة
التركيب شأن المسرحيات الاليزباتيه كلها ·· مليئة بالتشابك
الفكرى والحادثى كثيرة الشخصيات وكأنها مخزن مسحور ·
يشع من كل سطر من سطورها عطر ونغم وحشى ينقلنا
دون حراك الى مستنقعات متحركة ·· والى بقع صافية
من السماء ·

ولكن لابد لى أن أشير الى زاوية واحدة استطاع فيها
(جون فورد) ·· ان يحقق نصرا مسرحيا مذهلا ·· هى
هذه البراعة الفذة فى معالجة عشق جيوفانى لانابيلا وتطوير
عاطفتهما وجعلها عاطفة حقيقية تستدعى الدهشة
والاعجاب أكثر مما تستدعى الاشمئزاز والاستنكار ·

فجيوفانى منذ السطور الأولى للمسرحية يشعر انه
سيحيا تراجيديا تبعده عن البشر أجمعين وهو حين يحس

بأن انابيلا تشاركه عاطفته السوداء يسرع فيجذبها اليه راغبا منها ان تنسى شرطها الانسانى العادى وان تحيا معه لحظات قليلة فى هذا المجال الذى يبعدهما عن دنيا البشر ويخلق حولهما هالة خاصة وعطرا خاصا • وتستجيب « انابيلا » وتحيا مع شقيقها هذا الحب الآثم الملعون •

وحين يثمر الحب ثمرته •• وتضطر انابيلا للزواج من سورنزو •• نجد جيوفانى ساهما •• يشعران مأساته قد توقفت وان عليـــه ان يقوم بأى عمل كـــى يخرج من جديد من دنيا البشر •• لذلك فهو يسعى حتى تكتشـــف العلاقة •• ويذهب الى شقيقته ليقتلها بنفسه •• كى يكون الرجل الوحيد فى حياتها الذى وهبهـــا الحب والحياة والموت ••

انى لا أتردد لحظة حين اضع هذا المشهد الختامى من مسرحية (من المؤسف ان تكون عاهره) مع اجمل صفحات الهوى فى المسرح الاليزاباتى بأجمعه •

مسرحية مشئومة •• كالجوهرة السوداء فى عالم من الجواهر الزائفة ذات ـ البريق المؤقت •• متى •• متى •• سيمكننا ان نرى مثل هذه الشخصيات ـ الآخاذة الأسطورية •• تسير وتحيا على مسارحنا ؟؟

ـ ١٩٧٠ ـ

فيدرا .. والعنكبوت

من كافة المسرحيات التى كتبها راسين تحتـــل هذه المسرحية .. جزءا من نفسى انها قصة قطرة عرق .. وخيط عنكبوت أسود يلتف حول الشمس بدورات لاتنتهى انها النفس الأخير الذى ترسله امرأة مائته على شاطىء مقفر فى شـفتيها طعم مالـــح وعلى جســـدها الملـــىء بالتجاعيد تنساب موجة زرقاء تغلفها وتغلفنا معها بشعاع لاينتهى .. شعاع رائع مشئوم لازال يضىء حتى اليوم هذه السطور الاليمة الممزقة التى امتلأت بها مســـرحية (فيدرا) .. لراسين .

من هى فيدرا وماهى قصتها ؟ فيدرا امرأة نقية عاشت حياتها سجينة سماء زرقاء ونسمة تصبو اليها وبحر أزرق

هادیء تعكس فيه اصداء روحها • امرأة أحبت وتزوجت وعاشت مع زوجها الذى كان بالنسبة اليها دوما وابدا بطلا ذهبيا تتجمع اشعة الشمس على ساعديه •

عاشت سنوات طوال مع نفسها ومع حبها ومع هذه الطبيعة الصامتة المغضوب التى تحيط بها •• تحس بارتجاف رهيب فى احشائها لاتدرى له سببا أو سرا وتشعر بشىء يشبه الحمى يطبق على عنقها بيد فيها مائه أصبع • انها امرأة خلقت لتحيا مأساة تتوقعها هى وتتوقعها كل خلية من جسدها الملىء بالثقوب الغنى بالشعاع •

وتأتى المأساة عن طريق اخضر ربيعى يتمثل بفتى فى عمر القمح يحيط جبهته المراهقة اكليل من القرنفل • وتستر جسده العارى قطعة صغيرة من قماش اخضر •• تزيد من سمرة عضلاته التى احرقتها الشمس وجعلتهـــا ــ بلون الطين •

وتقف فيدرا أمام هذا الفتـــى •• لتواجه مأســـاتها الخالدة •• انه ابن زوجها •• انه هيبولت الشاب صورة ابيه عندما كان أبوه شابا •• هذا الجسد الملىء نشوة • هذه الجبهة المليئة فخرا •• وهذه الساق التى تتحرك مثيرة حولها زوبعة من كبرياء ؟ ماهذه النار التى بدأت « فيدرا » تحس بها •• وكأنها خارجة من الجحيم لتحيط بها تغللها ثم تصهرها ، اهى دماؤها التى تسير متراكضة فى عروقها

تملأ جسدها الذابل وتجعله كزهرة عجيبة انتفخت بمـاء المنبع فأصبحت تتحرك وكأنها حية حقا ؟؟؟ ماهذا الشعور الذى يراودها كلما رأت هيبوليت مرة أو كلما نظرت الى جسده العارى وساقه الملفوفة ؟؟

وتهرب فيدرا من مأساتها ‥ تهرب من نفسها لتعتكف بعيدا عن الجميع كعنكبوت سوداء مخيفة تغزل خيوطهـا بنفسها ‥ لتضع حدا لمصيرها العجيب ‥

تحدث وصيفتها وصديقتها (اينون) ‥ حديثا متقطعا خلابا ‥ تكشف فيه عن سرها ولاتكشف . تظهر فيـه وجهها ولاتظهر ‥ تبكى ولاتبكى ‥‥ تصمت دون ان تصمت ‥ وتستمع (اينون) ساهمة نشوانة لكلمات الحب المخيف تسيل كالمطر الأسود من شفة سيدتها ‥ وتصم اذنيها بيد من حديد عن هذا السر المشئوم الملعون الذى يمكن ان ينقضى على سيدتها وعليها ‥ وأن يجعل الأعمدة كلها تتساقط واحدا تلو الآخر ‥ فى خضم البحر الأزرق الذى فقد امواجه .

وتخرج المرأتان تحملان السر الرهيب الذى يجب ان يظل مكتوما كلعنة ارسلتها الالهة ‥ يخفيها الكهان عن أسماع الشعب البائس ـ الذى ينتظر الأمل المستحيل .

وتحمل الريح نبأ عجيبا ‥ لقد قتلت عاصفة غادرة

زوج فيدرا واب هيوليت وتركت العـــرش خاليـا لفيدرا تحتله كوصية على ابنها الطفل ٠

ويلتمع الأمل المشئوم فى عين الوصيفة وتقرأه فيدرا دون ان تستطيع الحركة ٠٠ ايمكـــن ان يكون ذلك حقا ؟ ٠٠ وهل تستطيع هذه الافعى الرهيبة التى تدور فى احشائها ان تخرج الى النور ٠٠ لم لا يصبح هيبوليت ملكا ٠٠ ولم لاتقاسمه فيدرا العرش ٠٠ وتصرخ فيدرا باينون الوفيه ان تسرع وتخبر هيبوليت بالأمـر عله يوافق ٠ لتقتل ابنهـا الصغير فى سبيل ان تلمس مزة واحدة الغلالة الخضراء والجسد الأسمر الذى تموت على عضلاته الشمس ٠

وتخرج اينون للقاء هيبوليث ٠ ولاتستطيع فيدرا صبرا فتلحق بها لتواجه للمرة الأولى الفتى الذى أصبح جسدها كله يهتف باسمه ٠٠

ويكتب راسين فى هذا اللقاء أجمل كلمات حب يمكن لشاعر ان يكتبها ليصور عشق امرأة لجسد رجل وليصور هذه النار التى تصهر وتلتف ٠٠٠ وليرسم لنا خيوط هذه المنكبوت المضيئة التى باتت تشتعل فلا تجعل العيون ترى الا وهجا متداخلا مليئا بصرخات كأنها الصدى وبقطرات دم تسيل الواحدة تلو الأخرى فى ايقاع جنائزى رهيب ٠

ويهرب هيبوليت مذعورا دون أن يجيب ٠٠ لقد رأى

خيوط العنكبوت رأى الجسد الملىء بالتجاعيد •• والشفة المالحة •• ولم يلمح الشمس •

وتشعر فيدرا انها خسرت كل شىء •• كرامتها •• وحبها •• وولدها ونفسها ولكن الدماء الحمراء التى لازالت تصبغ عروقها تدفعها الى الانتظار والى تحدى الأقدار •

وتعيد الاقدار العابثة زوج فيدرا •• انه لم يمت كما اشيع •• لم تأكله موجة زرقاء ولم تناده هذه السماء التى يؤمن بها • انه يعود الى زوجه وعرشه وولده •• آمنا ترتسم على شفتيه ابتسامة •• وتترنح (فيدرا) •• ما العمل الآن؟كيف لها ان تتخلص من عارها؟لقد غرقتفىالمأساةالتى هربت منها ••• عليها ان تواجه قدرها •• ولكن المرأة المائتة التى تدور العنكبوت فى احشائها •• تنهض نهضة اخيرة •• لتضرب سهمها الوحيد •• انها تتهم امام زوجها العائد هيبوليت الشاب بمحاولة اغوائها كى يصعد على العرش ويمسك بدفة الحكم •• وتطلب من الملك قصاصه •• وتندفع نحو غرفتها لتلتف بوشاحها الأحمر الذى يخفى جسدها العارى الملىء بطعم الملح والعطر •• وتنظر الى السماء دون ان ترى أو تستمع الى اصداء الأمواج المخنوقة •

ويطرد الملك ابنه الشاب بعد ان يستنزل عليه لعنة

الالهة ويخرج الفتى ليواجه الموت والدمار ٠٠ وتعود بعد ساعات اخشاب سفينته المحطمة تحمل جسده المليء بالف جرح والف قطرة دم ٠

وحين يتسلل خبر موت هيبوليت الى مسامع المرأة السامهة ٠٠ تموت العنكبوت ويظهر وجه فيدرا وقد فارقته الحمى ليعود صافيا مريعا كأنه وجه الالهة ٠٠ وتتقدم يتبعها وشاحها الطويل ٠٠ لتسرد امام الملك مأساتها ثم تموت ٠٠ هادئة جبارة تلفها خيوطها الحمراء واصداء الموج الهارب فى اعماقها ٠

لقد عاشت مأساتها ٠٠ خلقت لتعيشها انها مبرر وجودها ولم يكن هيبوليت الا عذرا مسكينا ٠ ان العنكبوت المخيفة قد التهمتها كما التهمته ٠٠ ستجده يوما ما فى مكان ما ٠٠ ستجده كما رأته دائما عاريا الا من غلالة خضراء ٠٠ عضلاته الشابه تحرقها الشمس ٠٠ وفى عينيه ملح البحر وعلى شفتيه شيء من زبد ٠

وتسقط فيدرا امام الامواج ٠٠ وتترك جسدها العارى خاليا من كل زينه يتحطم حوله وعليه زبد فارغ يرسله البحر الذى غدا لاصوت له ٠٠ وتشهد عليه السماء التى فقدت زرقتها فأصبحت دون لون تبحث عبثا عن سحابة أو خفقة عصفور جريح لتعود الى سموها واصالتها وارتفاعها ٠

— ١٩٧٠ —

لوكريس بورجيــا

المآذن البيضاء عوضا عن برج من حديد ووجوه تسأل ·· عوضا عن الافواه التى تجيب ·· وشـــمس عجيبة مريحة ·· عوضا عن امطار صيفية غامضـــة تثير فى النفس قلقا وغموضا لاينتهيان هذا ماراته عيناى فى القاهرة عندما وضعنى الطائر الأسود الكبير على أرض صـــلبة لامبالية وتركنى أحيا متناقضاتى ومتناقضات العالم ··

كثيرا عن الأسئلة طرحتها على نفسى وأنا أرى هذه المجموعة من الأفراد الذين يضعون الأقنعة الملونة ويقفون على خشبة مصنوعة ليعيشوا عواطفا رسمها غيرهـم ·· وارادوها أن تكون لهم ·· ويحاولون ان يقنعوا الف عين

ترقبهم ان هذه المأساة هى مأساتهم فعلا ٠٠ وهنا يكمن سر نجاحهم وعبقريتهم ٠

الموسم الفرنسى للمسرح هذا العام موسم مورق فيه الكثير من الأوراق الخضراء الناشـــئة وليس فيه زهـر وليس فيه ثمر ٠٠ ولكن فيه آمال تغلف النفوس واشياء موحية ترسم طرقا وواحـات وانهـــار ، هنـــاك العودة التقليدية الى الأصول ٠٠ الى شكسبير ٠٠ الى موليير الى الأدب الاسبانى الذهبى ، والى ابســن وشو ٠ ولكن هذه العودة تتميز بمعالجة جديـدة وجريئـــة فيها الكثير من الابتكار ٠٠ وفيها اضواء معينة تضفى على شخصيات بدت لنا حتى اليوم شخصيات لاتثير التساؤل انوارا خاصة ٠٠ فاذا بهذه المعالجة المسرحية تجعلها شخصيات حية ومريضة وقلقة تعبر وتعكس قلق انسان القرن العشرين ومشاكله ٠

فطرطوف موليير لم يعد هذا الانســـان اللص الذى يتخذ من الدين وسيلة للخداع وانما أصبح ضحية مجتمع بورجوازى تافه يدفعه الى الجريمة والاحتيال كما يدفع التيار ورقة الخريف المائتة ٠

لم تعد ـ جان دارك ـ قديسة تستمع الى اصـــوات الهيه تأمرها بتحرير وطنها من سيطرة الانجليز ٠٠ قدر ما اصبحت فتاة عادية عفوية ٠٠٠ تستمع الى نداء عقلها

وتشعر ان الظـــروف السياســـية والاجتماعية قد هيأت لظهورها كبطلة قومية لذلك فان عليها ان تظهر وان تؤدى دورها المرسوم لها وان تموت لأن منطق الأشياء يقضى بذلك وليس للقدر أو الاله أو دناءة البشر اى دخـــل فى ذلك .

حتى مسرحيات شكسبير اجتاحتها هذه الريـــح .. فبدأت تلبس فى كل بلد ثوبا خاصا يلائم جمهور هذا البلد وعادته ..

ففى تونس مثلا أصبحت شخصيات (صاع بصـــاع) شخصيات من الفولكلور التونسى ترقص وتغنى وتذهب الى الحمام وترتدى الثياب الفضفاضة .. وتتحدث عن الذباب والسأم .

وفى ايطاليا أصـــبح هملت أشـــقر الشـــعر يلبس (الكنزات) السوداء الطويلة ويدخل الى أعماق بئر ليحدث نفسه عن سر وجوده وعدميته .

وفى فرنسا أصبحت جولييت مراهقة حائرة .. تدور حول نفسها .. وتكتشف امر مراهقتها ومخاوفها الساذجة من قضية الموت والحياة شأن أى فتاة فى الرابعة عشـرة تلمحها أو تكلمها فى شوارع باريس فى هذه الأعـــوام الحارة .

ريح من التجديد مرت على تماثيل الشمع ‥ فبعثت فيها دما ازرقا شاحبا ـ واصبحت العروق الحمراء تبدو من خلال الاطار الشمعى الشاحب ·

وهكذا وقفت شجرة المسرح فى المدينة الهرمـــة ‥ فخورة بعدد من الأوراق الخضراء نمت فجأة فى غصونها الملاىء بالأوراق الصفر ·

ولكن هذا ليس كل شىء ‥ هناك طريقة أخرى تثير أكثر من تساؤل حول طبيعة التعبير المسرحى · هـــى اللجوء الى نصوص لاقيمة لها ‥ أو نصوص أكل الدهر عليها اوشرب لاحياءها من جديد بطريقة خاصة تبهر العين ولاتحدث العقل ‥ وهذا ماحدث بمســـرحية كلوكــريس بورجيا لفكتور هوغو التى تضـافرت حولهـــا مواهب مجموعة من الفنانين والرسامين على رأسهم ـ ليونور فينى ـ ليجعلوا منها مسرحية تخلب النظر دون ان تترك فى القلب أو فى الفكر أية بارقة أو أى سؤال ·

لوكريس بورجيا ‥ هى واحدة من مسرحيات فيكتور هوغو التى تلعب فيها الملودراما دورا رئيسيا ‥ تظهـر لنا لوكريس امرأة وصلت الى درجة من التعب الجسدى والعقلى لاتحتمل ، تفتش عن اثر لطهارة فى حياتها الدنسة وتجد هذا الأثر اخيرا فى شخصية فتى من البندقية ليس ـ الا ابنها من علاقة قديمة آثمه لها ‥ وتحار لوكريس

كيف تكيل العطف الى هذا الفتـــى الذى لايعرف انها أمه ·· والذى يضـــمر حقدا مخيفـــا للوكريس التى يعتبرها تجسد كل الشرور التى تعانيها ايطاليا ·

تنتهى المسرحية كما تنتهى الميلودراما دائما بمـوت الأم بيد ابنهـــا بعد ان تخبره الحقيقة ، طبعا لم يعالج فيكتور هوغو المســـرحية من الداخــــل ·· ولم يعبر لنا عن نفسية امرأة شربت الملذات حتى الثماله ·· ثم وصلت الى نهاية الكأس لتكتشف عبث كل شىء ·· لم يحاول ان يجعل من لوكريس ـ دون جوان ـ نسائى ·· بل اكتفى بحشد المآسى واحدة اثر أخرى بطرحها أمام المتفرج دون فن ودون ذوق مسرحى · هذا الذوق المســـرحى الذى اعوز المؤلف ·· ملأه المخرج بحس شيق وبحركات مدهشة ·· وبازياء بلغت حد الاذهال ·· حتى أصبحت المسرحية طيفا ملونا ·· يتحرك ·· فها هنا نجد صـــلاة جنائزية يقودها عشرون راهبا يرتدون السواد تقف بينهم لوكريس فى ثوب أحمر مزدان بالذهب كملاك من ملائكة ميكيل انجلو ·· أو هناك حفلة تنكرية ·· نرى فيها أوجه الحيوانات على اجساد الرجال ·· تتحرك ·· فى اطار من المطــر الفضى ·· ومن الشمعدانات ألتى لا قـــاعدة لها ·· وكأننا أمام لوحة لبروغل أو قديس رسمه كارفاشيو · هذا الافراط فى الذوق المسرحى ·· ومحاولة اثبـــات ماليس بكائن عن طريق فن مسرحى استجمع كل الصفات الا صفة

قوة النص ·· هو ضمن هذه المحاولات التى يحاولها جيل المسرح الفرنسى الجديد كى يجعل شجرة الفن لديه تمتلأ بالثمار · ولكنى كما قلت فى بدء مقالى ·· اننا لازلنا فى هذا الموسم فى باريس أمام شجرة باهرة ·· مليئة بالأوراق الخضراء المتلألئة التى يحار فيها البصر والتى لاتخفى بين طياتها حتى الآن ثمرة طيبة واحدة ·

ـ ١٩٧٢ ـ

طائر البحر الأسطورى

- المسرح الموجه ... والمسرح الطوبائى
- روميو وجولييت بنظر بريخت
- مشاكل كثيرة دون حل .

كلما نشطت الحركة المسرحية فى بلد من البلدان .. وكلما تكون ذوق مسرحى معين لجمهور له خصائصه وعيوبه وميزاته كلما بدت مشكلة اختيار المسرحيات المتلائمة مع هذا الجمهور أشد صعوبة وتعقيدا ..

ماذا نختار .. وكيف نختار .. وماهى الدوافع التى

علينا ان نضعها نصب اعيننا فى اختيار مسرحية دون أخرى .. وما هى الأســس التى نبنــى عليها حكمنـا خاطئا كان أم مصيبا .

هذه السياسة المســرحية التى يجب على الفرق ان تنتهجها هى أهم المشاكل التى تقف فى وجه المسئولين عن المسرح .. فى كافة البــلاد ـ وان اختلفت طرق الحل اختلافا جذريا بين المسرح الموجه والمسرح الحر .

المسرح الموجه .. مســرح تعليمى .. وتوجيهـى وثقافى .. تختفى وراءه دائما تيارات سياسية واقتصادية تحاول ان تجعل منه اداة فكرية ذات خطورة يمكن استغلالها الى اقصى الحدود .

وليس علينا بالحال أن نكون (طوبائيين) فنرمى بالمسرح الموجه بعيدا مدعين أنه يفسد الفن ويحطم حريته. ويقف بوجه شكل من أشكال التعبير الانسانى له قدسيته وله تقاليده وله حرمته . المسرح الموجــه أمر ثابت فى عالم القرن العشرين .. اصبحت له دعائمه المركزة وأسسه الواضحة .. وطريقه التى لاريب فيها .. عمل فيه ومن اجله فئة من كبار المفكرين المسرحيين فى القرن العشرين الذين آمنوا تكل الايمان بفكرة الالتزام رغـم تقديسـهم لفكرة الحرية .. يقـف على رأس هذه الفئــة كالطود

الشامخ الشـــاعر والكاتب الدرامـــى الشهير (برتولت بريخت) ··

يرى بريخت بادىء ذى بدء ان المسرح مرآه حقيقية تنعكس عليهـــا مشـــاكل البلـــد الذى يعيش فيه بكـل انواعهـا وصـــفاتها وكلنا يؤمن بعد هذا ان مســـئولية جسيمه وخطيره تقـع على عاتـــق هؤلاء الذين يعملون بالمسرح ويعملون من أجله · انهم صنعة التاريخ لذلك ـ لايحق لهم بشكل من الأشـــكال أن يهربوا من المؤثـرات المدهشة ـ اقتصـــادية كانت أم ســـياسية التى تحيـط بمجتمعهم ليعـالجوا مشـــاكل عاطفية بعيدة عن التاثير المباشر أو التوجيه الفكرى العميق ·

لايحق لرجل مسرح مسئول ان يقدم لنا رواية مؤلفة فى قرن يموت فيه الانسان امام الآلة··وتسيطر فيه القوة، ويهددنا فيه الطغيان فى كل لحظة ليتحدث فيها عن حب مستحيل أو عن عاطفة برجوازية فارغة لاطائل منها · أنه بذلك يخرج عن كونه انسانا مثقفا مسئولا ويصبح نتاجا فكريا خبيثا ·· علينا مقاومته والوقوف فى وجهه ·

بل ان المشكلة عند بريخت تصل احيانا الى درجـــة من المغالاة أشد قليلا · فهو يعتقد اننا ملزمون حتى حين نقدم روائع الاعمال وكلاسيكية بالتزام اتجاه سياســـى وفكرى معين يتلائم مع شرط حياتنا فى القرن العشـرين سواء كان هذا الشرط سياســيا أو اقتصـــاديا فبريخت

لايقر بــل لايفهم ان تقدم مســـــرحية كمســـرحية (روميو وجولييت) باطار عاطفى يحدد فقط مشكلة الحب بين شاب وفتاة تفرق بينهما التقاليد وتقف بينهما عادات قديمــة تعود الى الثأر والى سيطرة العائلات فى فيرونا ٠

ان بريخت يرفض هذا الحل اطلاقا ٠ ويرغب منا ان نرى مأساة روميو وجولييت من زاوية جديدة تكشف لنا كيف تتنازع الأسر الغنية الفائضة الثراء السيطرة على المدينة تجاريا ٠٠ ولكيف تفقدهـــا هذه السيطرة الماليــة اعصابها ٠٠ فتجعل فتيانها يدفعون الثمن غاليا من حياتهم ودمائهم وعواطفهم ٠

على المسرحية ان تكشف لنا من خـــلال قصة الحب الساذجة هذه ٠٠ مسئولية مدينة بأجمعهــا ٠٠ ونظـــام بأجمعه ٠٠ والا فقدت هذه المسرحية كل ميزات وجودها ٠٠ وغدت قصة حب تافهة ٠٠ لاتثير فينا أى اهتمام ٠

على المسرح ان يكون اداة عاكسة ٠٠ يجســـم لنا المشاكل المختلفة التى يتعرض لها الفرد المتوسط العــادى فى القرن العشرين ، ويحاول ان يضع لها حلا ٠٠ اننـــا نساهم بصنع التاريخ ٠٠ لذا علينا ان نؤدى الدور الذىعهد الينا منذ البدء ٠٠ وهو دور طبيعى لا مفر منــه ٠٠ اذا اردنا أن نقدم فنا حقيقيا ٠

من هذه النقطة بالذات انطلق بريخت فى أدبه المسرحى ‥ فقدم لنا مسـرحياته الشـهيرة ٠ غاليلو غاليلى ، ارتورروى والأم الشجاعة وبنادق الأم كارار ورجل برجل ‥ وسواها ‥ كما عالج الروايات ـ الكلاسـيكية معالجة جديدة ‥ فأضاف اليها وحذف منها واعطاها لونا يتناسب مع نظرته الى المسرح ‥ ورأيه بدور هذا المسـرح فى مجتمعنا الحاضر ‥ وهكذا شـهدنا انتجونا من زاوية سياسية واضحة ‥٠ وكوريولان ‥ لشكسـبير وجابى الضرائب لجاكوب ليتز والأم لماكسيم جوركى ‥

كل هذه المسرحيات شهدناهـا ‥ وقد خرجت عن مضمونها كما ارادها المؤلف ولبست مضمونا سياسـيا واقتصاديا ارادها لهـا بريخت ‥ وأصر قائلا ‥ ان هذه المسرحيات تفقد وجودها كله ‥ اذا لم تقدم حسب هذا الاطار وبمضمونه ٠ ولاشك ان وجهة النظر هذه تدعو الى كثير من التساؤلات ‥ لا اسـتطيع بهذه العجـالة ان اعرضها كلها ٠

ولكنها تطرح مثل اى امر آخر ‥ مشكلة المسـرح الموجه ‥ والالتزام الذى يأخـذه على عاتقه العامـل بالمسرح ‥ تجاه مشاكل عصـره ‥ والازمـات التى يحياها الانسان ‥ حيثما كان ‥

الى جانب هذا الاتجاه الكبير الذى مازال يشتد فى

اوربا ٠٠ حتى بدأت آثاره تصل الى باريس نفســـها ٠٠ ومن خلال مخرجين كبـار تعودوا ان يشـــعروا بمـــدى مسئوليتهم الفنية كروجيه بلانشون وجان فيـــلار وجـان مارى سورو ٠ أقول الى جـانب هذا الاتجـــاه الفكرى والسياسى الملتزم نجد رجالا آخرين يعملون للمســـرح ويؤمنون انه اداة فكرية هامة ٠٠ ولكنها الى جانب كونها اداة فكرية هى اداة فنية حرة ٠٠ لاتترعرع الا اذا توفرت لها أجواء الحريـــة المطلقـــة ٠ وعلى الكـــاتب ان يكتب للمسرح ٠٠ وعلى الناقد بعد ذلك ان يكتشف من خـــلال الشخصيات التى يرسمها هذا الكاتب شروط المجتمع الذى يحيا فيه واثاره السياسية والاقتصادية ٠٠ ماشاء لـــه ذلك ٠٠

وبين هذه التيارات يقف العاملون على شئون المسرح ٠٠ فى الدنيا كلها ٠٠ يتساءلون ماذا نختـــار ٠٠ وكيف نختار ٠٠ ولمن نختار ٠

ميديا لاوريبديس أم زوج مثالى لاوسكار وايلد أم الأم الشجاعة لبرتولت بريخت٠٠ومع هذه التيارات المتناقضة ٠٠ يقف بنيان المسرح شامخا كطائر أسطورى خرج من أعماق الماء وبقى شاهدا وحيدا على قدرة الانســـان وعبقريته ٠٠ فى تحدى السماء ٠٠

ـ ١٩٦٥ ـ

صخرة فيلار البيضاء

كلما تحدثت عن هذا الرجل ·· وعن تجربته الفذة فى « دنيا المسرح الحديث » وقفت مذهولا ، مذهولا مما يمكن ان يحققه رجل واحد ، مذهولا من الأصالة الفكرية التى تدفع انسانا الى الدفاع عن مبادئه حتى النهاية ، مذهولا من النتائج الباهرة التى توصل اليها هذا الرجل الفذ بعناده واصراره ومؤمنا بعد ذلك كله ان طريق الفن ليست طريقا شائكة الى الحد الذى نتصور وليست معقدة كما يخيل الينا بل يكفى ان نؤمن وان نصر وان نكافح حتى نحقق لأنفسنا هذا النصر الشبيه بالطائر الأزرق ذو العينين الرماديتين الذى فقد قدميه وطار فى السماء لايجد لنفسه مقرا ·

كيف ابتدأ هذا الرجل تجربته ٠٠ وماهى الصـفات التى تميز مسرحه ؟؟ حين استلم فيلار (قصر شايو) ٠٠ بفرنسا ليدير فيه مســـرحه الشـعبى ٠٠٠ كانت الدولة قد يئست تماما من انشاء مسرح شـــعبى فى البلاد ٠٠ وراحت تبذل جهدها لتنمية مسرح الكوميدى فرانســـيز الرسمى ومساعدة الفرق الخاصة الكبيرة واشهرها فرقة (جان لويس بارو) ٠٠ ولكن الدولة ارادت ان تضــرب سهمها الأخير ٠ واعطت لفيلار مسرحها الشعبى ٠٠

نظر فيلار فرأى أمامه صالة ضخمة تتسع لأكثر من ستة آلاف مقعد ومسرحا كبيرا تبلـــغ فتحتـــه ٥٠ مترا وعددا من الممثلين الفاشلين الذين نبذتهم أغلب المسارح ، ولم يجد أمامه أية مسرحية جاهزة ٠ فماذا فعل ؟؟

وقف أول الأمر وقفة المتسائل ٠٠ ماهـــو المســـرح الشعبى وماهو دوره ؟؟ هل يجب ان يقتصر المسرح الشعبى الفرنسى على تقديم ألوان خفيفة من المسرحيات قائمـــة على شىء من الخفة وكثير من السهولة ينســاها المتفرج بعد ساعة واحدة من مغادرته المسرح ٠٠ أم على المسرح الشعبى أن يكون مدرسة ثقافيـــة كبيرة تطلع الشـــعب بمجموعه على تيارات الثقافة الحضارية وتجعل من خشبة المسرح رحى تدور حولها مناقشات ســياسية واجتماعية على مستوى فنى عالى ٠

لقد بدأ فيلار طريقه وهو يحمل فكرة عالية جليلة عن مستوى الجمهور لذلك رفض رفضا قاطعا عرض روايات سهلة مريحة تنسى المتفرج واقعه وتبعده عن دنياه ومشاكلها ٠ ان فيلار يرفض قطعا وجود نوعين من المتفرجين النوع البورجوازى المثقف المترف فكريا الذى يمكنه ان يفهم ٠٠ والنوع البروليتارى المسكين الذى لاينفعل الا للنكته السمجة والحركة الاعتباطية السهلة ٠

انه يرفض هذه الفكرة التى يعتقد انها من مخلفات العصر الرأسمالى ٠٠ رفضا قاطعا ويؤمن ان هناك متفرج واع يمكنه ان يرسم خطوط تشابه كبيرة بين مايراه على خشبة المسرح ولو كان يبعد عنه تدريجيا ٠٠ وبين مايراه فى حياته ٠ وان بوسعه ان يقف وقفة المتسائل تجاه مشاكله السياسية والاقتصادية كما تقف انتجونا الاغريقية وارتوروى أو قاضى زاليميا الاسبانى ٠ هذا المتفرج ليس من المفروض ان يكون بورجوازيا يحيا فى بيت يملكه وله سيارته الخاصة حتى يفهم (موت دانتون) ٠٠ أو أسباب ياس (لورانتزاسيو) ٠٠

على العكس تماما فالانسان المعاصر الذى يكافح ثمانى ساعات فى اليوم من أجل الحصول على رغيفه أو فى سبيل الدفاع عن حقه فى ابداء رأيه او فى سبيل رفع رأسه عاليا متحديا الدين والسماء اذا جردته من

انسانيته هو الذى يمكنه ان ينفعل اكثر من غيره لصيحات انتجونا ومسرحيات (بريخت) وهزء (اوكاسى) · لهذه الأسباب كلها حدد فيلار الطريقة التى عليه اتباعها :

ان يقدم روائع المسرحيات العالمية للجمهور الشعبى ·· المسرحيات التى صنعت التاريخ ·· والتى يمكنها ان تدفع الجمهور الشعبى الى صنع تاريخه ·

يمكننا ان نقدم للعامل فى مصانع رينو ·· مسرحية لبريخت فانه سيفهمها لأنها تتحدث عن مشاكله هو ·· ويمكن لعاملة الاحذية فى شارع السين ·· ان تفهم العاطفة القدرية العمياء التى تعصف بعقل وحواس فيدرا لأنها رغبة انسانية اثمة يمكن لأية امرأة ان تمر بها ·· ويمكن لجميع طبقات الشعب ان تفهم مغزى كلمات اريستوفان فى مسرحية (السلام) عندما يقول ·· (اننا لانرغب بالحروب ·· بالجثث ·· نرغب ان نحيا فى امان ·· سنة واحدة ·· مع السماء والنجوم ·· والتراب)

وانطلق فيلار فى تجربته العجيبة ·· رغم هؤلاء الذين يحيطون به صارخين فيه ·· انه لن ينجح ·· وان الجمهور لن يلحق به ·· وانه يحيا فى برج عاجى ·· وان الجمهور الذى يتابع اخبار بريجيت باردو وعشاقها لن يهمه كثيرا أو قليلا ان يرى الأسباب الاقتصادية التى ادت الى

ظهور (هتلر) .. (ارتورو) : .. والأسباب الإنسانية التى أدت الى موته ..

ولكن فيلار تابع طريقه ، تابع طريقه بين فئة من الممثلين آمنوا به .. وعلى رأسهم جيرار فيليب ، وماريا كازاريس ، ودانيال سورانو ، وجورج ولسن .. أسماء لامعة فى تاريخ المسرح الفرنسى يعرفها كل من وضع قدما على أرض باريس .. وقفوا معه .. ومثلوا له .. فاذا بالمقاعد الستة آلاف تمتلىء كل ليلة .. واذا بالجمهور البسيط الساذج يأتى ، وينفعل ويثور .. واذا بعمال الشركات والمصانع .. وطلاب المدارس الثانوية وعاملات المقاهى والمطاعم يتوافدون جميعا .. ليسمعوا بخشوع يقرب العبادة .. نداء انتجونا فى سبيل الحرية وصراخ دانتون ضد مستغلى الثورات .. وتأملات بريخت عن الدكتاتورية .

يأتون ليشهدوا كيف يموت الشاب فى مسرحية او كاسى (زهور حمراء لاجلى) .. وعلى شفته ابتسامة .. مؤمنا ان عدالة أخرى ستعم العالم .. هى غير عدالة السماء .. ويأتون ليشهدوا كيف يتآمر رجال المال الالمان فى سبيل دعم هتلر .. وكيف يتآمرون فى سبيل هزيمته بعد ان أدى الدور المعهود اليه .. فى مسرحية بريخت المذهلة (ارتورو) ..

يرون كل ذلك ويشعرون فى قرارة انفسهم بالجوهرة الزرقاء تتحرك فى قلوبهم يشعرون انهم بشر واع ٠٠ فى مجتمع لهم الحق كل الحق فى تغييره وان بامكانهم ان يكونوا صناعا للتاريخ عوضا عن ان يكونوا عبيدا له ٠٠ وان المسرح ليس المكان الذى يذهبون اليه ليلاليشاهدوا كيف تموت الفتاة حبا ٠٠ وكيف تضحى العاهر فى سبيل هواها ٠٠ وانما هو الكعبة التى يمكنها ان تصهر انسانيتهم وان تجعل منهم بشرا جديدا ٠٠ فى دنيا جديدة ٠٠ هم آلهتها ٠٠ وهم عبيدها ٠٠

يحملون المسئولية كل المسئولية عن كل خطأ يرتكب فيها ٠٠ ولهم الفخر كل الفخر حين ينتصر أى انسان فى أى ميدان من ميادينها ٠

فى سبيل هذه الفكرة ٠٠ وقف فيلار ووقف معه مسرحه الشعبى ٠٠٠٠ ولأجل فكرة كهذه سيستمر هذا الرجل فى قوته ٠٠ وفى انتاجه ٠٠ وفى تأثيره رغم كافة الأمواج التى تموت مندحرة على صخرته البيضاء العالية ٠

ـ ١٩٦٢ ـ

أمبرهامبورغ وطريق الأشواك

حين بدأ جان فيلار عمله فى المسرح الكبير الذى رشح لادارته وقف وقفـــة المتردد · ماذا يفعل بهذه المجموعة الضخمة من الجماهير التى ستذهب الى قصر شايو حيث يقدم فنه · ؟

هل يقدم لهم حالا تشيخوف وبريخت · ام عليه ان ينتظر وان يدرس مليا نفســية هذا الجمهور الجديد ·· الذى يواجهه ومـــدى ردود فعلـــه وتأثره ؟ كثيــر من المتحذلقيــن والبرجوازين يدعون ان الجمهور الواســع لايمكنه ان يتقبل الاعمال الفنية الصــحيحة التى تحتوى على اتجاه فكرى معين :

وأنه لايستسيغ الا الأعمال السوقية التى ربطت عقدتها الدرامية بخطوط غليظة · هذا الرأى العجيب ان دل على شىء فأنما يدل على سطحية طبقة تريد ان تستأثر بالتفكير العقلى لوحدها ظانة انها بأحكام طائشـــة ·· اعتباطيـة يمكنها ان تحدد مصير وذوق طبقة ثانية بأسرها · وفيلار بحسه المرهف وقف تجاه هذا الرأى الطـــائش وقفـــة الهازىء ·· لا ·· ليســـت هناك مســـرحيات صــعبة ومسرحيات خفيفة · مسرحيات يفهمها الجميع ومسرحيات تفهمها طبقة · هناك فقط مســرح جيد ومســـرح ردىء والمسرح الجيد هو الذى يعكس من خلال احداث معينة صورة عن الصراع الحى الذى يدور دائما فى ضمير اى انسان فى أى زمن ·

لذلك قدم فيــلار مســـرحه بجرأة واختار دون تردد مسرحيته الأولى من هذه المسرحيات الحية النابضة التى كانت تملأ قاعة شايو كل ليلة بالآف المتفرجين الذين ينصـتون مذهولين الى هذه الشفاه الملونة التى تتحـرك لتنطـــق كلمات رصينة واضحة توضح لهـــم حقهـــم وواجبهـــم احلامهم وآمالهم شرطهم الانسانى وعلاقتهم بالآخرين ·· ·· هذه المسرحية هى أمير هامبورغ لهنريخ فون كليست ·

كليست أمير من امراء الدراما الرومانتيكية فى المانيا · صور من خلال امراء وفلاحين شرف انسان ذلك العصر

واستطاع بمهــــارته وشــــاعريته النفاذة أن يجعــل من الصور التى رسمها صورا دائمة تحتفظ بتأثيرها البعيد على كافة الأجيال التى أتت بعدهـــا : وفريد دريــــك دو هامبورغ واحد من هذه الوجوه العنيفة الملاءى بالنشــوة والفخار ·

فردريك شاب حالم · يحيا ضـــمن اطار أحلامـــه العسكرية الزاهية وأمله بتحقيق مجد عمه مستشار براند بورغ من خلال معارك بطولية يحقق فيها امكانياته ويوطد دعائم العرش لعمه ·

ولكن فردريك دوها مبـــورغ يحيا وراء هذه الحياة المليئة بالابواق والرتب والأصوات العالية حياة أخـــرى خفية هى حياة الأحلام ·· يسير فيهـا وهو نائـــم الى بساتين خيالية يحلم فيها أنه وصل الى امانيه وان جنية مسحورة قد صنعت من شعاع تقدم له اكليل الغار ·

وينتاب حلم من هذه الأحلام المزركشة أمير ها مبورغ فى عشية معركة فاصلة سيتقرر فيها مصير المانيا تجاه جيـــوش الســــــويد ويفاجـــىء مســـــتشار برانـــد بورغ وحاشيته والأميرة ناتالى دورانج أميرنا الشــاب حالما فى حدائق القصر يحدث جنيته المسحورة · ويرغب المستشار بشىء من المزاح فيدفع الأميرة ناتالى الى عالم

فردريك المضىء ويجعلها تبادله الحوار فى جو ملىءبالعبق والعطور والغموض وتختفى ناتالى مع موكبها بعد ان تترك قفازها ويستيقظ أمير هامبورغ سائلا نفسه هل كان يحلم · وهل أصبح لجنيته المسحورة وجه بشرى؟وهذاالقفاز الذى يحمله هل هو واقع أم وهم كبير قد اتخذ صورة حقيقة ؟

ويدعو المستشار أركان جيشه لابلاغهم الأوامر ويوكل الى الأمير دوهامبورغ مهمة الهجوم بعد اطلاق النفير ويقرأ له الأوامر بدقة · ولكن أمير هامبورغ لايستمع · فهو يرى من جديد أميرة احلامه تحمل قفازا واحدا وتحدث حاشيتها باحثة عن قفازها الثانى الذى سقط منها · انه يتابع حلمه فى الوقت الذى يجب عليه ان يحمل مسئولية عمله العسكرى ·

وتبتدىء المعركة ويهجم أميرهامبورغ بجيوشه ويسحق السويدين متحمسا مندفعا دون ان ينتظر اطلاق النفير كما نصت أوامر المستشار ·

ويحقق فردريك دوهامبورغ نصرا عسكريا ساحقا ولكن المستشار يقف وقد وصلته أنباء الانتصار متسائلا عن هذا الذى أمر الجيش بالتحرك قبل الموعد الرسمى · انه مسئول مسئولية عظمى وعليه ان يدفع ثمنها من دمائه ·

وتتحرك الشفاه مذهولة أنه أمير هامبـــورغ ولكن أيكون جزاء الشجاعة هو الموت ؟؟ ويقف مستشار براندبورغ كالسهم حادا عنيفا لارحمة فى صوته ليقول كلمة واحدة لا أكثر . الواجب أولا قبل الشجاعة والاحلام .

ويوضع أمير هامبورغ فى القيود ولكنه فى أعماقه يشعر ان الأمر لا يعدو أن يكون مزاحا قد طال أكثر من اللازم لا أكثر ولا أقل .

وان عمه سرعان ماسينســى هذا الطيش العــابر وسرعان ما سيجعل ناتالى تجلل رأسه بأكاليل الغار كما رآها فى الأحلام .

ولكن الأمور لاتسير حسب مايأمل أميرهامبورغ .. وفى تلك الليلة المجنونة التى تسبق الأعدام يشعر فردريك ان لا أمل يرتجى . يرى قبره الكبير ينتظر ويرى المشاعل والرجال السود يرى العدم وقد احاط به فينسى نفسه ويهرع الى زوجة المستشار يرجوها ويبكى أمامها ..

يهرع الى ناتالى متوسلا ان تفعل مابوســعها وبما لديها من حظوة لدى المستشار ، أنه يقبل بالتضحية فى كل شىء ، ان يبقى رجلا بسيطا مجردا عن الالقاب يحيا فى ركن منزو من العالم . ولكن ان يبقى على قيد الحياة . يرى الشمس كيف تنهض ويراها كيف تموت . يرى القمح

كيف ينبت ثم يراه كيف يحصد ولكنه لايريد ان يلقى بنفسه الى هذه الحفرة التى رآها ملاى بالطين تنتظر جسده الشاب الملىء بالعرق والأمل ·

وتهرع ناتالى بدورها الى المستشار متوسلة كما تقوم بجمع ملتمس موقع من كافة قواد الجيش يطلبون فيـــه الرحمة لأميرهامبورغ ·

ويهددون بشكل خفى بالعصيان اذا لم يجب طلبهم · ويقف المستشار وقفة المتأمل · سـيرى الآن من أى معدن صنع أميرهامبورغ الشجاع ويوصل اليه كتابا يقول فيه أنه سيعفو عنه اذا اعتقد أميرهامبورغ أن تصرفه يستحق العفو وأنه كان على حق اذ تصرف كما فعل فى المعركة ·

وأمام قواد الجيش المجتمعين أمام ناتالـى وأمـــام المستشار يقف هامبورغ وقد انتصر على نفســـه وعلى خوفه من الموت وعلى اكافة الأشياء الصغيرة التى كانت تربطه بالحياة ·

يقف وقفة البطولة وينادى بصوته المتهدج الذى لـم تعد هناك آثار للدموع فيه أنه يرغب بتحمل مسئوليته كاملة وأنه يستحق الموت · لقد سيطر الواجب ، سيطرت النبالة الحقيقية وظهر عمـق المســئولية فى نفس هذا الفارس الكبير · ليس الموت الا وهما · سيدع جسده الشاب ـ يسقط

فى الحفرة ولكنه سيستحق اكليل الغار من يد ناتالى فى عالم آخر ، يقف فيه وقفة الرجل الحق ٠

وأمام القواد المذهولين والمستشار الذى يبتسم ابتسامة مليئة بالثقة وناتالى التى تغالب الدمع ٠ يتقدم أمير هامبورغ نحو الموت ٠ ويشعر المستشار ان قد آن الحين ليحس هو بمسئوليته ٠

ان مزاحه وتدخله فى عالم الاحلام الذى كان يحيا فيه هامبورغ هو الذى أدى الى هذه المشكلة ٠ فلينه أمير هامبورغ مأساته فى الأحلام كما بداها ٠ وينزاح الوثاق الأسود من فوق عينى هامبورغ ليرى نفسه من جديد فى حديقة القصر تقف الى جانبه ناتالى دورانج وأكليل الغار فى يدها ٠٠ بينما تنهض الأبواق من بعيد لتعلن بعث الأمير فردريك دوهامبورغ وعودته الى الحياة ٠

من خلال هذا السرد السريع ٠٠٠ رسم هنريخ فون كليست هذا الأمير الحقيقى من امراء الدراما الالمانية التى لازالت أعماله مجلله بقطرات الندى وأوراق العنكبوت ٠ صورة الصراع الأزلى الحقيقى فى نفس رجل واع بين المسئولية والواجب من جهة وبين الحياة والأحلام من جهه أخرى ٠

صورة شعرية مليئة بالرموز لمشكلة أزلية نحسها كل

يوم ، ماهى انسانيتنا الحقة ؟؟ وماهى مسـئوليتنا تجاه انفسنا أو تجاه الأعمال الصادرة عنا تجاه الآخرين ؟

فردريك دوهامبورغ كم أرغب لو تصبح مأساتك مأساة شباب عصرنا ٠

كم أرغب لو يواجهون هذه الحفرة المليئة بالندى التى تنتظر أجسادهم الغضة ٠ وكم أرغب وكم أتمنى لو يواجهون مسئولياتهم يوما كما واجهتها وان يخرجوا منتصرين تلتمع فوق جباههم السمر قطرات العرق المجيد التى تؤكد بطولتهم وانسانيتهم وحقهم الحقيقى فى الحياة ٠

هذا الحق الذى لايمكن لأحد أن ينازعهم فيه اذا اجتازوا الطريق الوعرة ٠٠ طريق الشعور بالمسئولية ٠ طريق الشوك التى اجتازها أمير هامبرغ ٠

ـ ١٩٦٤ ـ

ستر ندبرج والآنسة جوليا

كتب ستر ندبرج فى المقدمة الرائعة التى توج بهـا مسرحيته (الآنسة جوليا) .. مقاطع طويلة بحث فيها عن الأسباب العميقة التى دفعته الى كتابة هذه المسرحية وعن السر الذى جعل موضوعا كهذا الموضوع يستهويه ويدفعه الى رسم شخصية جوليا التى تعتبر دون أدنى شك واحدة من أجمل الشخصيات الدرامية فى القرن العشرين . يقول :

(لقد تركت نفسى أخضع لموضوع يعتبره البعض بعيدا عن المشاكل اليومية لمجتمعنا ، ولكننى لازلت أرى ان موضوع العظمة والانهيار والصراع بين قوى الأعلى وقوى الأسفل . بين الخير والشر . بين المرأة والرجل .

هو الموضوع الدائم الذى تدور حوله مشاكل الانسانية كلها ٠فاذا احسسنا بشعور مأساوى أمام مشهد انهيار رجل سعيد ٠ فان هذا الشعور لابد أن يتملكنا ونحن نشـــهد انهيار طبقة بأجمعها) ٠

نعم ودون أدنى شك فان سترندبرج قد رســـم فى مسرحيته (الآنسة جوليا) صورة عن انهيار طبقة برمتها ٠٠ طبقة كانت تحيا حتى الآن وراء اقنعة مزركشة هرمة تبعدها عن بؤرة العفن التى أصبحت تغوص فيها دون ان تدرى ٠ وتجعلها تقتنع حتى ولو كانت هذه القناعة وهما كبيرا انها لازالت تعيش مع النسور فى ذرى الأشـــجار ٠

جوليا هى الابنة الوحيدة لكونت اقطاعى مَن مناطق الشمال ٠٠ فتاة متكبرة تسرى فى عروقهـــا هذه الدماء الخاصة التى تبعدها عن الآخرين ، وتحيطها بهالة نسجتها لنفسها٠٠ترى من خلالها وبواسطتها الأشخاص والأشياء ٠ ولكن الأمور وجريان الحياة لم تعد كما اكانت قبل مائة عام ٠٠ امور كثيرة قد تحققت فغيرت مجـــرى الأحداث ٠٠ وغيرت من وجهات النظر ومن العلاقات القائمة بين الناس ٠ لم تعد هذه الارستقراطية التى كانت تعتمد على الدم واللقب ٠٠ ارستقراطية كاملة يحق لها ان تصنع وان تأمر وأن توجه الأحداث وانما أصبحت طبقة جديدة ممزقـــة بين القديم والحديث٠، تريد أن تشعر من هو دونها

انها أصبحت تعى وضعه وتمنعها عن ذلك هذه السلسلة من الأعوام والتقاليد والدم التى جعلتها على ماهى عليه الآن ٠

وجوليا واحدة من هؤلاء ٠٠ تقول (لقد حلمت حلما ذات يوم ٠٠ ولازلت أذكره دون انقطاع ٠٠ حلمت انـى اقف على رأس ذروة عالية ٠٠ دون أمل لى بأن اعود الى الأرض ٠٠ كنت أشعر بالدوار كلما نظرت الى أسـفل ٠٠ كان على ان القى بنفسى ولكنى لم اجد الجرأة ٠٠ كما لـم يعد بأمكانى ان أتابع الوقوف فى مكانى ومع ذلك فانى لم اسقط ٠٠ وشعرت اننى لن أعرف الراحة حتى أصل الى الأرض بل الى مادون الأرض ٠٠ آه ٠٠ هل شعرت بمثل هذا الشعور ٠٠ يوما) ٠٠

نعم ٠٠ لقد ارتفعت جوليا ٠٠ وهى الآن تريد ان تزيل هذه الفوارق كلها وان تسقط الى الأرض ٠٠ ان تصبح واحدة من هؤلاء الألوف الذين تراهم والذين تحدثهم كل يوم دون فارق جسدى أو اجتماعى أو مالى ٠٠

ولكن الآنسة جوليا تختار طريقا شائكا ٠٠ وليسـت المسرحية الا تصويرا لهذا الطريق الشائك المليء بالزهـر المر الذى اختارته جوليا حتى تموت ٠

نحن فى أعياد السان جان حيث يعم الفرح وتسـيل

الخمر ويرقص الخدم حتى ساعة متأخرة من الليل والكونت غائب فى المدينة لن يعود حتى صباح اليوم التالـــى ٠٠ وجوليا وحيدة فى القصر ، لاتجد ماتفعلــه الا ان ترتدى ثيابها وتهبط لتشارك خدمها أفراحهم ورقصهم ٠

انها تصل الى المطبخ حيث يجلس جان رئيس الخدم مع كريستين الوصيفة يتحدثان بهمس مريب عن تصرفات الآنسة جوليا المجنونة ٠ (جان) ٠٠ خادم من الطبقة الجديدة كونته آراء الصحف والكتب الرخيصة التى يقرأها ووعى غامض لاشعورى بأن العالم كله على شفا تغيير جذرى ستنقلب فيه المفاهيم وتتغير النظرة الى واقع الأمور ٠ أنه يعتقد ان الأمور التى تعلمها كافية لأن تدعه يشق طريقا لنفسه يختلف عن طريق الخدم ٠٠ ومن يدرى ربما أصبح ولده ثريا كبيرا وحفيده كونتا ٠ أنه يعيش مع السادة ويخفى املا حبيسا مكتوما بأنه سيصبح فى يوم قريب سيدا ويقول (انى أحلم دائما بأنى مستلق تحت ظل شجرة كبيرة فى غابة مظلمة ٠٠ واشعر ان لى رغبة بأن أصعد حتى القمة ٠٠ وحتى الذروة كى أرى منظر الشمس المتألقة واكتشف العش الذى تقبع فيه البيوض الذهبية ٠٠ ثم اصعد واصعد ولكن جذع الشجرة لاينتهى ٠٠ وكم هو بعيد بعيد الغصن الأول الذى سأتعلق به ٠٠ انى لم أصل بعد اليه ٠٠ ولكنى سأصل يوما حتى ولو كان ذلك فى الأحلام) ٠٠

وهكذا نجد انفســنا أمام شخصيتين متميزتين جان وجوليا ٠ الانسان الذى يريد ان يصعد والفتاة التى تريد

ان تهبط ٠٠ وتجرى الأحداث بعد ذلك مسرعه٠هذا الحديث العصبى الذى يدور بين جوليا وخادمها بالمطبخ انها تريد ان ترقص معه ٠٠ ان تسهر فى هذه الليلة السكرى كما يسهر الجميع ٠٠ ولكن جان ينبهها ان الألسنة قد تتحدث عنها وقد تفسر تصرفها تفسيرا خاصا وتتهكم جوليا اى تفسير يعنى ؟ وما الذى يمكن ان يجول فى خاطر خدمها ؟ هل انها تفضل واحدا منهم على السادة النبلاء وترد جوليا بهذه الكلمات الحادة العصبية (افضل ؟؟ اية فكرة سخيفة انك تدهشنى ٠٠ فانا سيدة هذا القصر ٠٠ انى أردت ان أشرف حفلة خدمى بحضورى اليها وبما اننى أحب الرقص لذلك فخير لى ان أرقص مع خادم يجيد القيادة كى لا أجعل من نفسى أضحوكة) ثم تشير الى كريستين ضاحكة (اطمئنى ياكريستين فلن أسرق لك خطيبك) ٠٠

وترقص جوليا مع جان ٠٠ ثم تعود الى المطبخ حيث تنام كريستين متعبة لتتحدث معه طويلا ٠٠ عن نفسها ٠٠ عن القيود التى تشعر بها ، عن رغبتها بالخروج من سجن تقاليدها الرهيب ٠٠

انها لاتريد ان تكون انثى ضعيفة ٠٠ انها ترغب فى أن تصبح رجلا له الحق فى ان يختار وان يفعل مايشاء ويحدثها بعبارات جافة خشنه عن ماضيه هو ٠٠ عن كفاحه كيف كان يراها حين كانت طفلة تلعب فى حديقة والدها الكونت ٠٠ دمية مستحيلة وكيف ان أفكاره وامـاله قد

تجسدت كلها في ان يستطيع يوما ان يقابلها وان يحدثها ‥ وتسير جوليا مغمضة العين على هذه الكلمات العجيبة التى تلتف حول عنقها كالافاعى وتتبع هذا النغـم الذى لاتدرى بعد ان كان يصدر عن القلب أو عن رغبـة كامنـة خفية بتلويث شىء مقدس ‥

ويمر الوقت ‥ وتنسى جوليا نفسها ‥ تنسى انها تجلس مع خادم لها فى مطبخ قصرها فى ساعة متأخرة من الليل ‥ ولكن مجموعة الراقصين تتجه الى المطبـخ ‥ وتتنبه جوليا الى نفسها ‥ ماذا يجب ان تفعل‥ستواجههم وستقول لهم انها كانت تتحدث مع جان ويصرخ بها جان هازئا ‥ (هل تظنين انهم يحبونك ، انهم يقبلون الخبـز منك ولكنهم يبصقون عليه ‥ انهم الآن ينشدون أغنيـة ماجنة عنك) ‥ ويدفعها جان عندئذ الى ان تختبىء فى غرفته الصغيرة حتى يخرج الخدم الثملون من المطبـخ .

وتدخل جوليا كالآلة الى غرفة جان ومخدع نومه ‥ وعندما تخرج بعد ساعة تبدو لنا امـرأة جديدة ‥ لقد سقطت جوليا ‥ حققت حلمها فى أن تهوى من عليائها ‥فى أن تكـون جـزءا من التراب ، ومنذ هذه اللحظة تتغير الأدوار ‥ لم تعد جوليا كما عرفناها فى مطلع المسرحية ، ولم يعد جان هو نفسه.أصبح انسانا جديدايرى ان المستحيل ممكن وان ماكان يراه يشع بالعطر أصبح مادة تافهة يمكنه

ان يلمسها وان يرميها اذا شاء اما جوليا فقد أحست انها فقدت الخيط الرفيع الذى كان يربطها بمجتمعها القديم ٠٠

فشلت فى ان تنطلق وان تخرج عن شرطها كامرأة ٠٠ لقد أصبحت عاهرة لا أكثر ولا أقل ٠

ويعرض عليها جان ان تسافر معه ، ان تهـــرب وان تسرق مال أبيها وأن يذهبا معا الى فندق فى سويســــرا يقيمانه ، تديره هى ويجرى هو حساباته ، ولم لا يأخذان معهما كريستين أيضا لتكون طاهية فيه : أى ثالوث رائع ٠٠ وأى مستقبل ذهبى ينتظرهم وتضطرجولياالىالاذعانوتهرع الى القصر ثم تعود مسرعة تحمل فى يدها حقيبة صغيرة وقفصا وضعت فيه عصفورها الملون وتخبر جان انها قد سرقت المال وانها مستعدة لأى شىء ٠٠ ويهزأ منها جان عندما يرى العصفور ٠٠ لم تأخذه معها ؟ عليها ان تتركه هنا ٠ وتجيب جوليا ان هذا العصفور يمثل حياتها الماضية ٠٠ الرمز الحى لما كانت عليه وانها تفضل ان تقتله على ان تتركه ٠٠ وبلا مبالاة منقطعة النظير يمسك جان بســكين المطبخ ويقتل العصفور الصغير ٠٠ ومنذ هذه اللحظة تموت جوليا ٠ تعلم انها لن تستطيع الاستمرار ٠٠ ســـيأتى والدها ٠٠ سيقبض عليها ٠٠ سيكتشف الفضيحة والسرقة ٠٠ فما العمل ؟ ليس هناك الا حل واحد للمشكلة وتهرع الى جان تسأله مستنجدة ٠٠٠٠ فيعطيها السكين دون ان

يتكلم ويشير اليها ان تذهب الى الغرفة الصغيرة وان تضع حدا لحياتها ٠

هذه هى الخطوط الكبرى لمسرحية الآنسة جوليا التى كتبها سترندبرج ورسم بها صورة آسرة لامرأة وقصة لانهيار طبقة وجعلها محورا يدور حوله حوار ذكى ملىء بالتأملات الشعرية الغامضة حول عصر تزعزعت فيه القيم وعم فيه طوفان فكرى أصبحنا بعده لاندرى كيف نحكم على هذه المخلوقات التى نراها أمامنا فى كل لحظة وهى تلاطم الموج والزبد وتحاول ـ ان ترسم على الرمال المتحركة خطوطا وأسسا حقيقية لعالم جديد ٠

ـ ١٩٦٤ ـ

تشيخوف وروح الغابات

- بين رومانتيكية تشيخوف وماساويته ٠
- شخصيات حزينة ٠٠ ومصير يتغير
- نهاية غارقة بضوء القمر والموسيقى كما يفعل شكسبير

شىء كثير من التردد اصابنى حين حاولت ان اكتب عن « روح الغابات » فهذه المسرحية الشابة تقف بين اعمال تشيخوف كلها وقفه خاصة ٠٠ فى مرماها وفى اتجاهها وفى بنيان شخصياتها وتطورهم ٠

لقد أصبح من الأمور المسلم بها التحدث عن أنطون

تشيخوف وعن قلقه الأسيان وعن موته البطىء امام سماء رمادية ٠٠ وأشجار تموت أوراقها ٠

أصبح معروفا ان نتحدث عن بستان الكرز وعن الكونتس الغارقة في احلامها التى تستمع الى نغمات الاكورديون الحزينة فى ليلة غارقة بضياء القمر٠٠ومعروفا لدينا ان نتبع خطواتها المتعثرة وهى تغادر دارها الكبيرة٠٠ بينما تباع ارضها وبستان الكرز فى المزاد العلنى ، أصبح مألوفا أن نراها راحلة الى الأبد الى البلاد الظل ٠٠ تاركة بستان الكرز تهدمه طرقات المعاول والمربى العجوزينام وحده على المقعد الكبير ٠٠ فى الدار التى اغلقوها ٠٠٠٠ ينتظر كالكلب الوفى ٠٠ مصيره المشئوم ٠

اصبح معروفا ان نتحدث عن الشقيقات الثلاثة ٠٠ وعن انتظارهن اللامجدى عن صرخاتهن التى تخرج من الأعماق ٠٠ مناديه : موسكو بقبابها المدورة ٠٠ وبطرقاتها الملآى ببقايا الثلج أصبحنا نبتسم بحنان ونحن نذكر كلمات الشقيقة الوسطى عن الحب وتأففها من حياتها ٠٠ أو ـ نذكر صمود الشقيقة الكبرى ثم انحيازها المطلق نحو عالم الآخرين ٠٠ بكل مافيه من خنوع ورضا ٠٠ وحلم مكبوت ٠

عالم تشيخوف ٠٠ عالم الخال فانيا عالم طائر البحر عالم بستان الكرز المزهر ٠٠ عام ايفانوف المجنون ٠٠ أين يقف هذا العالم العجيب الأبعاد ٠٠ الغنى الملىء بالالحان البعيدة الصامتة ٠٠ وبالهدوء الذى يشبه هدوء الماء الحزين

تحت شجرة الصفصاف ·· اين يقف هذا العالم من (روح الغابات) ؟؟

وماذا تشكل هذه المسرحية بالنسبة لتشيخوف وبالنسبة الينا · ؟؟··كتب تشيخوف «روح الغابات» حين كان شابا لازال فى صدره الكثير الكثير من الأمل··ولازالت فى قلبه قطرات حمراء مليئة بحب الأرض والانسان والكفاح ·· ثم تركها ·· تركها فترة طويلـــة ·· ليعود اليها ·· محاولا كتابتها من جديد ·· ولكن العشر سنوات التى تفصل بين المسرحية الأولى واعادة كتابتها ·· قد جعلت من انطون تشيخوف انسانا آخر ·· انسانا فقد رومانتيكيته الساذجة، واستعاض عنها بشعور مأساوى داخلى لايماثله أى شعور فى دنيا المسرح العالمى كله ·

بين أصابع هذا الانسان الجديد ·· تطورت الشخصيات ·· وتطور قدرها ·· وتطورت نظرتها للحيـــاة وتطورت مواجهتها للأحداث ·· فاذا بنا أمام مسرحية اخرى وان كانت اسماء الشخصيات لم تتغير ·· وامام قدر آخر ·· وبنيان آخر · وظهرت الى الوجود «الخال‌فانيا» بروعتها ·· بمأساتها الكامنة ·· بشاعرية كلماتهــا ·· بهذا الحزن العميق الذى يسيل فى كل سطر من سطورها ·

ولكن أين تقف (روح الغابات) ·· المحاولة المسرحية الأولى من (الخال فانيا) ·· هذا العمل المسرحى المتكامل الذى يقف كالطود الشامخ فى عالم المسرح الحديث ·· ؟

أميز مايميز (روح الغابات) ويعطيها رونقها وبهاءها هو هذه ـ الرومانتيكيه الصافية المشعة كما تشع قطرة الندى فى ضوء القمر ٠

كافة الشخصيات فى « روح الغابات » تحلم وتحب وتتألم بصورة أقرب الى السذاجة الحلوة منها الى الشاعرية المريرة ٠٠ حتى « فوينتسكى » الذى ـ سيصبح بعد أعوام (الخال فانيا) ٠٠ يهرب بتشاؤمه بعيدا فينتحر تاركا البيت والاصدقاء من ورائه يتابعون حياتهم الهادئة ٠

ان الانتحار حل رومانسى واضح ٠٠ لم يلجأ اليه تشيخوف حين كتب « الخال فانيا » وترك بطله فانيا يتابع حياته البائسة قانتما دون ثورة ٠٠متابعا أيامه المتتاليةحالما بدنيا أفضل شأن الشقيقات الثلاثة ٠٠ وشأن (انيوشا) ٠ فى بستان الكرز ٠٠ هذا الرضا المزوج بثورة داخلية مشتعلة هو الذى يعطى (فانيا) ٠٠ هالة التراجيديا ٠٠ وهذا الانتحار الملىء بالنزق هو الذى يطبع (روح الغابات) ٠٠ بالرومانتيكية ٠

ثم سونيا ٠٠ التى نراها فى (روح الغابات) ٠٠ جميلة ومحبوبة تظهر المها حينا ٠٠وتخفيه عن الانظارا حيانا وكأنها تقول ان الوقت لم يحن بعد للالم وانه لازالت أمامنا فترة أخرى نسعد بها ٠٠ فلنحاول ان نكون سعداء ٠٠ نراها فى (الخال فانيا) ٠٠ وقد وصلت الى هذه

الفترة المجنونة من عمرهـــا ٠٠ فأصـــبحت امرأة قبيحة مهجورة تحيا دون أمل فى تحقيق حب متبادل مستحيل ٠

أما « روح الغابات » هذا الطبيب الذى يؤمن بانسانية شاملة مدهشة ٠٠ هذا الطبيب الذى نراه فى بستان الكرز يحلم بأن اليوم قريب حيث تصبح السعادة ممكنة ٠ ٠

أنه انسان مجيد ٠٠ يحلم بالشمس ٠٠ بالخضــرة الدائمة ٠٠ ويهب نفسه دفاعا عن هذه الاشـــجار رمـــز الديمومة ، رمز الطبيعة المنتصرة المليئة بالأمل ، ورمـــز الاستمرار ٠٠

لقد كتب تشيخوف كثيرا من المسـرحيات المجيدة ٠٠ ولكنىلم أرى فى كافة ماكتبه ٠٠ صورا انبل وأروع من هذه الصورة للطبيب « روح ـ الغابات » ٠٠ بايمانه ٠٠ بقوته ٠٠ بمبادئه ٠٠ بحبه ٠٠ وبالآمه ٠ انها صورة خالدة على مر العصور للانسان الذى يكافح وعلى وجهه ابتســـامة والذى يؤمن ويؤمن ان كفاحه لن يذهب عبثا ٠٠انه الانسان الأسمى٠ الانسان كما كان يؤمن به تشيخوف الطيب ٠٠ قبل ان تحيله الحياة الى هذا الرجل القلق الذى يفتش بكآبة عن معنى للحياة ٠٠ وعن سبب واحد للاستمرار والذى ينظر الى عالمه نظرته الى حاضر يتقلقل باستمرار بين ماضـــى ملىء بظلمة الأسف ٠٠ ومستقبل ملىء بثقل التهديد ٠٠ انى أشعر دائما بالعجز المطلق ٠٠ حين اكتب عن ايـــة

مسرحية لتشيخوف ·· فعالمه أوسع من ان يحده قلم ·· وشخصياته لاتحل بمقال سريع ·· ولكنني رغم هذا لا استطيع الا ان اتوقف امام هذه النهاية المدهشة التى انهى بها تشيخوف مسرحيته (روح الغابات) ·· هذه الشاعرية الملأى بالنغم ·· وسط غابة حيث يجتمع العشاق جميعهم ليغنوا أغنية الأمل التى يشعر القارىء مع ذلك ·· انها ستنتهى بالدموع ·

منذ ان قرأت شكسبير وكوميدياته لم أجد نهاية تعادل هذه النهاية التى كتبها تشيخوف لروح الغابات·انها الليلة الثانية عشرة وكما تهواه انها روزيليندا وفيولا انها مشهد الليل فى تاجر البندقية حيث تقف جيسكا العاشقة تناجى لورنزو وحيث تقف بورشيامعباسانيويتحدثانحديثالهوى، الشخصيات نفسها التى أحاطتها شاعريتها الداخلية بهالة من نور فاضحت تتحرك وكأنها تطير · تتكلم وكأنها تهمس فى عالم يتأرجح بين الحلم واليقظة بين المرارة والسعادة ·

انطوان بافولوفيتش تشيخوف لقد كتبت (روح الغابات) ·· فى لحظة نادرة من عمرك رأيت فيها العالم من خلال دموعك وكأنه (سليفيد) غير منظورة تمس اجنحتها البيضاء ذرى الأشجار الحزينة · لقد أذتك الحياة يانطون بافولوفيتش فيما بعد واصبحت شخصياتك ملآى

بالصبر على دنيا قاسية ‥ وبشر بشع ولكن هذا المشهد المدهش من روح غاباتك سيظل معنا حتى اخر لحظة من حياتنا ذخرا وسندا نواجه بهما قسـوة عالمنا وبشـــاعة مايحيطنا ذاكرين بحنان انك انت أيضا كنت سعيدا ومليئا بالأمل لحظة قصيرة واحدة من حياتك ‥ حين كتبته ·

ـ ١٩٧٠ ـ

فاســـا غيليز توفـــا

- مسرحيات جوركى قتلها الزمن
- شخصيات مبالغ فيها لعالم بورجوازى متصور
- (فاسا) مسرحية ذات موقف انسانى واحد ٠

نحن فى بيت بورجـــوازى عريق عاشـــت فيه عائلة الغليزنوفا عشرات السنين٠مقاعد وثيرة قدغطيتبالسجاد٠ بيانوهرم تحوطه الزهور الصناعية وستائر ثقيلة تخفى نور الشمس الحاد وتماثيل مرمريه عجوز تمثل نزهة فى جندول أو رجلا يصارع اسدا او فتاة شابة تقطف زهرة ، وهناك

الى جانب الحائط يختفى مكتب جلدى نضدت حوله الأوراق ووضعت فوقه النجفة التقليدية ٠

فى هذه الغرفة التى تشابه غرف العائلات البورجوازية كلها فى كافة اقطار العالم أراد مكسيم غوركـــى ان يثير المشكلة المعروفة التى يعانيها المجتمع الطبقى من خــلال مسرحية قاسية سوداء أطلق عليها هذا الاســم المتوحش (فاسا غيليزنوفا) ٠٠

غوركى كاتب روسى كبير ، هذا مالا يختلف فيه اثنان كتب للثورة الروسية ومهد لها ثم لكتب لأجلها بعد ان توطدت دعائمها وكان فى كل ماكتبه كاتبا ملتزما يضع نصب عينيه أولا وآخرا خدمة قضية آمن بهـــا ٠ لقد كتب غوركـــى الكثير ولكن اغلب ماكتبه أصبح يرقد الآن فى دفتى كتاب مجلد وضع فى أعماق مكتبة منسية ٠ لقد أدى غوركى دوره بجدارة واستحقاق وأصبح لزاما عليه ان يختفى ليحل محله كتاب آخرون آن الوقت لهم كى يظهروا ولا أظن ان غوركى كان يمتنع عن الاختفاء فى الظل لو كان حيا ٠٠ لأنه أول من آمن بعالم الضرورات وبتطور التفكير الاشتراكى ٠

ومع هذا فقد ترك لنا غوركى عددا من القصص أجملها دون منازع ٠٠٠ (قصة الرفيق) ٠٠ التى لازالت تتمتع بقوة تأثيرها نظرا لمعالجتها موضوعا انسانيا عاما بعيدا

عن الالتزام وقصته الطويلة الشهيرة (الأم) التى تضمنت صفحات نقية صافية ملآى بهذا الايمان الحاد الأعمى بهدف كبير تسير نحوه الانسانية والذى اعطى مكسيم غوركى قيمته كرجل مخلص واكاديب ساهم الى حد معقول فى توطيد النظام الاشتراكى ٠

ولكن ماهى قيمة غوركى كمؤلف مسرحى ؟؟ كتب غوركى للمسرح كما كتب فى القصة واضعا هدفا له كشف مخازى الطبقة البورجوازية والقاء الأنوار الكاشفة عليها ٠ لذلك ظلت مسرحياته كلها مطبوعة بطابع معين ٠٠ وان كان المتفرج الذكى أو القارىء الماهر يمكنه ان يرى بعض اللمحات الانسانية الشاعرية فى تطور هذه الشخصيات الكئيبة التى تنمو فى عالمها الداخلى القاتم مصلوبة على نفسها لاترى أبعد مما تريها اياه عينها المصابة بضعف البصر ٠

وفاسا غليزنوفا واحدة من هذه الشخصيات المعقدة التى تعيش عالمها بعصبية وتماسك يصل أحيانا الى درجة الاجرام ٠

عندما يرفع الستار عن صالون عائلة الغيلزنوفا نرى فاسا تتحدث مع مدير اعمالها ونعلم من سياق الحديث ان فاسا قد أصبحت المسئول الأول عن مصالح زوجها الذى يقبع مريضا فى البيت الى جانب اخيها الذى يمضى أوقاته

كلها باحتساء الخمر · وفاسا تدير المصانع وتدير البيت وتعتنى بتربية ابنتيها لدميلا وناتاليا ·· وهى خير من يقوم بهذه المهام كلها · فهى تعرف تماما كيف تلقى التفرقة فى صفوف العمال · كيف تستغلهم بانقاص اجورهم وفق ، خطة مديرة ماهرة ووفق تهديدات خفية بالتسريح ، تعرف كيف تفسد الموظفين وتجعلهم اداة تجسس لديها ·· لذلك فان اعمالها فى المصنع تسير قدما والارباح تتوالى والرخاءيسود البيت · دون النظر الى مايحدث خارجه ولكن حادثا مفاجئا يعكر صفو هذه الدار العريقة ·· اذ تشب فضيحة اخلاقية مخجلة بطلها غليزينوف زوج فاسا ·· وتعجز المرأة الماهرة عن خنق الفضيحة رغم صلاتها المتعددة ورغم اموالها ·· فلا تجد امامها وسيلة لتدارك الأمر الا اقناع زوجها بقتل نفسه وطى الدعوى ·· ويقاوم الزوج المسكين ثم يرضخ ويتجرع السم الذى تعطيه اياه زوجه (المحبة) ··

وما ان يموت الزوج حتى تبقى فاسا وحيدة مع اخيها وابنتيها اللتين اصبحتا فى سن الزواج ·· واصبح هدف (فاسا) الأكبر ان تجد لهما الزيجة المناسـبة اجتماعيا وماليا ·

ولكن ضيف غريب يحل على المنزل انها (راشـيل) زوجة ابنها الهاربة من الروسيا نتيجة لنشاطها الثورى انها تصل الى دار (فاسا) مطالبة بابنها الطفل الذى تشرف على تربيته الجدة ·

.. ولكن فاسا ترفض تسليم الطفل الى امـــه الثوريـة وتهددها بالأخبار عنها ان هى أصرت على اخذه ·· ومن هذه الحادثة الصغيرة يسير الحوار الملتزم عند غوركى صفحات وصفحات ·· راشـــيل تدافـــع وتمجد الايـام المقبلة ، وفاســـا تقف كالصـــنم أمام عالمهـا وحياتهـــا ومعتقداتها ·

والطفل المسكين أى عالم سيختار ؟ وقبل ان يصل بنا جوركى الى حل ·· نسمع جرس الهاتف يطلب فاســـا ويعلمها ان مصنعها قد وقع بضيق وأن مؤامراتها ضـــد العمال قد انكشفت وان عليها أن تاتى حالا لتدارك الأمـر ان كان ذلك فى وسعها ·

وفى اثناء غياب (فاسا) يغتنم (كرابوف) شقيق فاسا الفرصة ويشجع راشيل على اختطاف الطفل ·· انه فى تصرفه هذا يكشـــف عن مدى الكراهية التى يكنها لأخته وعن مدى التفكك الخلقى الذى أصاب العائلة البورجوازية كلها وتعلم الابنتان بالمؤامرة فتقف الواحـــدة منهمـــا « لودميلا » الى جانب امها مدافعة بينما تكشـــف الصغرى « ناتاليا » عن كراهيتها لهذا العالم المزيف الذى تجبرها امها على أن تحيا به ·· لقـــد أصـــاب التفكك والانهيار « فاسا » نفسها ·· أصابها فى ابنتها التى تحبها اكثر من

شيء فى العالم·لا··لايمكن لفاسا ان تواجه سير التاريخ وتطوره ·

***

وتعود فاسا منهكة من المصنع ·· فتخبرها لودميلا ابنتها بالمؤامرة التى حيكت ضدها ·· فتنهض حالا وتخبر الشرطة عن وجود (راشيل) وتطلب القبض عليها ·· ولكن هذه الجهود كلها تكون قد قتلت فاسا معنويا فاذا بها تترنح ·· وتسقط على الأرض جثة هامدة ··

وامام جسد (فاسا) الطريح يهرع الشقيق والسكرتيرة الوفية كى يسرق كل واحد منهمامايستطيعمن الثروة الطائلة التى تركتها وامام الموت تكشف العائلة البورجوازية كل مخازيها وعارها ·· وتشهد راشيل المنظر كله ··· فتخرج مشمئزة مع طفلها و (ناتاليا) معلنة ان (هذا) لن يستمر ·· وان الأمور ستعود عاجلا أو اجلا الى وضعها الطبيعى ·

وعلى جسد المرأة الميتة التى تركها الجميع ·· تبقى ابنتها (لودميلا) آخر قطرة دم فى جسد هذه العائلة البورجوازية المنهارة تبكى نفسها وأمها ··· وعالمها ·

***

هذه هى الخطوط الكبرى التى رسم حولها غوركى مسرحيته فاساغيليزنوفا · انها خطوط قديمة شاحبة اصبح العنكبوت يجللها ·

انى انظر الى هذه (الصالة) التى رسمها غوركى وجعل مأساته تدور فيها واتساءل بحيرة ·· لو امكن لغوركى ان يعيش حتى الآن ؟ ترى هل كان يختار مثل هذا الموضوع ··

وهل كان يديره بنفس الصورة التى ادارها به ·· أم ان الأمور التى قد انقلبت تماما فى هذه الدنيا ستجبره على اختيار معالجة افضل ؟؟

وانه سيكتشف ان الحركة الوحيدة التى لازالت واقعية فى مسرحيته هى هذه الدموع الصافية المليئة بالعبث واللاجدوى التى كانت تذرفها لودميلا على جسد امها المنهارة !!

– ١٩٧٤ –

لمـــاذا انتحر ايفانوف ؟؟

- بكلمات مليئة بالاسى عرض تشيخوف شخصية الانسان الذى فقد اسسه ٠
- قصيدة عميقة للفشل الانسانى ٠
- انتحارايف انوف يطرح اسئلة لاتنتهى ٠

يروى جورج بيتوييف فى مذكراته عرضا لمســــرحية ايفانوف كما شهدها على مســـرح الفن فى موسكو فيقول : وفى نهاية الفصل الرابع من مسرحية ايفانوف يقول البطل : كفانا ثرثرة لقد استيقظ ايفانوف الشـــاب فى اعماقـــى فاصبحت اعرف ماعلى ان افعل ٠ وما ان ينهى هذه الكلمات

حتى يذهب الى طرف المسرح ويطلق النار على قلبه ، فى تلك الليلة التى شهدت فيها هذه المسرحية حدث أمر عجيب، أمر لايمكن تفسيره فبعد اطلاق النار وسقوط الستارة وقف جميع النظارة امام مقاعدهم · رجالا ونساءا كانوا يبكون كان الجميع وكأنهم تحت سيطرة عليا كأنهم يعتقدون بل ويؤمنون ان الممثل قد اطلق على نفسه النار حقا ، لم يكن ماشعر به الجمهور رعبا وخوفا وانما ألم وأسى لا حد له قد ملك قلوبهم جميعا ، وخرج ستانيسلافسكى بعد قليل واعلن للجمهور ان كاتشالوف الممثل الأول لازال حيا وان علينا ان نتماسك وأن لانبكى وبعد أعوام قليلة اندلعت الثورة فى روسيا ·

هذه الخواطر السريعة التى كتبها جورج بيتوييف عن مسرحية ايفانوف ، ليست انطباعا سطحيا عابرا ، قدر ماهى شرح وتفسير حقيقى لهذه المسرحية المذهلة التى كتبها تيشخوف فى صباه والتى تقف فى مسرحه كله وقفة خاصة لما تحتويه من أنوار باهرة يمكننا ان نفسر بها وبواسطتها أعمال تشيخوف ونفسيته كلها ·

ايفانوف رجل فى الخامسة والثلاثين يملك افكارا تقدمية ويحيا على ايراد زراعى بسيط يأتيه من أرض مرهونة يملكها · انه تعب ·· ملىء بخيبة الأمل تحوطه حياته الريفية كخيوط العنكبوت · هجر الى الأبد كفاحه القديم فى سبيل تثقيف

شعبه المتأخر واقامة دعائم اقتصاد منظم تاركا نفسه يعيش مع زوجته اليهودية التى جعلها تترك دينها لتحيا معه حياة اليأس ينخر عظمها ورئتيها سل لاشفاء منه ·

ولكن هذا الحب الذى كان يدفع ايفانوف الى المضى فى طريقه قد مات وها هو ايفانوف يترك داره كل مساء ليذهب الى دار مجاورة يشيع اساه وملله فيها تاركا زوجته تموت بنار بطيئة ·· وهناك فى هذا المنزل المجاور تقف فتاة وحيدة شابة هى ـ ساشا ـ روح نقية واحدة فى جو كله وضاعة وسطحية · ترى ايفانوف على حقيقته ··· انسان ممتاز تكمن الأفكار فى قلبه كالعصافير الملونة · ويرى ايفانوف فى حياته خيطا باهتا من الأمل ولكن الحياة اليومية وخبث الناس والاشاعات المسمومة تثقل على حياة ايفانوف فيدور كوحش حبيس فى قفص تعذبه أفكاره ولايجد أمامه الا اليأس والملل والفراغ وفى لحظة طائشة يشتم زوجته ويخبرها بأنها امرأة محكوم عليها بالموت ·

وتمر السنوات بعد ان ماتت الزوجة ويكاد ايفانوف ان يتزوج من جديد الفتاة الشابة · ساشا ـ ولكنه يعى بصورة واضحة هذا العدم الذى سيقود اليه الفتاة التى سيتزوجها فيتردد ويحاول ان يطلع الفتاة على الحقيقة ولكنها شأن كل عاشقة شابه ترفض سماعه وتصر على المضى الى جانبه مؤمنة بأنها ستنقذه · وفى لحظة أخيرة

من لحظات الكرامة التى يسترجعها يطلق ايفانوف النار على نفسه برصاصة فى رأسه ·

المسرحية كلها شأن مسرحيات تشيخوف كافة لاتروى حادثة وانما تعرض امامنا شخصيات · الحادثة معدومة ولكن الشخصيات تحيا امامنا بقوة لا مثيل لها ·

ونحن هنا أمام شخصية ايفانوف انســـان يرى عبث حياته ويحسه ، يرى ان العالم لايمكن ان يهبه بعد الآن شيئا ·· الا أنه يستمر جارا وراءه تعبه وملله ويأســـه كجثة مشوهة يشع منها العفن ولايمكنه ان يتخلص منها الا بطريقة واحدة هى طريق الموت ·

ان ايفانوف هو الانسان الذى فقد الأسس التى تربطه بالأرض التى يحيا عليها وبالبشر الذين يحدثهم وبالسماء والأشجار التى تحيطه انه يحدث نفسه فيقول : اى رجـل سىء انا مثير للشفقة لامعنى له · على المرء ان يكون اجوفا مليئا بالخمر كى يستطيع ان يحبنى وان يحترمنى ايضا آه · كم احتقر نفسى كم أكره بعمق صوتى خطواتى يداى ثيابى ، وأفكارى ، أليس هذا مضحكا اليس هذا مؤلما ·· منذ أقل من سنة كنت قويا وصحيحا · كنت شـــجاعا لا أتعب مليئا بالحماس أعمل بهاتين اليدين نفسهما واتكلم بحرارة تجعل الدمع يخرج من أعين القساة ··كنتقادراعلى ان أبكى امام الألم ، وان أثور لمرأى الشر كنت أعرف معنى

الالهام والسحر والشعر والليالى الصامتة حين نظل حتى يطل الصباح أمام منضدة العمل نأمل ونحلم • كنت أملك الايمان وانظر الى المستقبل كما أنظر الى عين أمى ٠٠ والآن • ياللرب كم أنا تعب • أنى لا أؤمن بشىء • انى امضى ليالى وأيامى دون عمل ٠٠ لا اتحكم فى تفكيرى ولا فى يدى ولا فى قدمى • أرضى أصبحت دخانا وأشجارى تعرت تنظر الى نظرة اليتيم • أنى لا انتظر شيئا ولا أسف على شىء ٠٠ ولا أجد الا روحى التى ترتجف خوفا أمام كل جديد •

هذه العدمية المليئة بالغموض والموسيقى هذا الانسياب نحو المجهول نحو اللاشىء نحو مياه الموت الآسنة هو الذى يجلل ايفانوف منذ مطلع المسرحية وهو الذى يطبع الفصول كلها بشريط أسود رقراق ويجعل من هذا العمل المعذب قصيدة عميقة للفشل الانسانى •

أمام ايفانوف اليائس تقف شخصيات ثانية أولها ساشا الفتاة العاشقة التى لازالت تؤمن بقوة الحبولازالت تؤمن ان بوسعها ان تمسك بيد الغريق وتقوده الى الشاطىء ، صورة نبيلة رائعة تذكرنا بسونيا فى ـ الخال فانيا ـ وان كانت تمتاز عنها بهذه الطمأنينة الداخلية وبهذا الأمل الدفاق الذى يلون كل مايحيطها •

ثم ـ الطبيب ـ لفوف ـ الانسان المثالى الذى يحاول

ان يطبب الروح كما يطبب الجسد والذى يدفع بحماقته ومثاليته الأمور الى نهايتها السيئة ·· ان ايفانوف يقول له اثناء هذا الحوار المدهش البديع الذى يدور بينهما ويقف فيه الطبيب موقف الحاكم الذى يقرر ويشير هذه الكلمات المختنقة المليئة بالدمع والآسى « يمكنك ان تكون طبيبا ممتازا ثم تجهل كل شىء عن الروح الانسانية ·· لاتكن كثير الثقة بنفسك » وأخيرا يملأ تشيخو فمسرحيته ـ بشخصيات ثانوية متداخلة ذات طابع ضاحك تشكل تناقضا حزينا مع الموسيقى والايقاع التى تسير بموجبهما نفسية ايفانوف وتضفى بذلك على المسرحية هذا الجو من الكمال الفنى المسرحى ·

ان مسرحية ايفانوف لتشيخوف هى عرض رائع للوضع النفسى الذى كانت تمر به فئة من شباب روسيا قبل الثورة · فئة تنظر الى اعماقها والى مايحيطها فلا ترى الا السواد والوحشية والملل · فئة تحيا دون مبدأ ·· منتظرة حدثا هائلا يعطى لحياتها المعنى ··

ولكن هذا الحل الدموى الذى اختاره تشيخوف لبطله هل هو الحل الذى تدفع اليه نفسية الكاتب الغارقة فى ضباب احزانها ·· ام ان نسمة الأمل التى تطل من كافة مسرحياته الأخرى تجعلنا نطرح بتساؤل وألم لاينتهيان هذا السؤال الحائر المعذب ·· لماذا ·· لماذا انتحر ايفانوف ؟؟

ـ ١٩٧٣ ـ

بناد الأم كارار ...

● بريخت يعالج الحرب الأسبانية بشاعرية جافة

● عدم اتخاذ موقف فى المعركة هو موقف بحد ذاته

● الأم كارار تتشابه فى بنيانها الأم الشرقية .

نحن فى أسبانيا فى قرية ساحلية صغيرة ملآى بشباك الصيادين وبالسفن ذوات الأشرعة البيضاء التى تقف عند مطلـــع الفجر فى منتصــف البحر جسا مدة دون حراك وبالبيوت الصغيرة المطليــة بالكلس .. التى تجلس الى جانبها نسوة متشحات بالسواد .. ينظرن بأعين فارغة الى

بوارق الحياة التى تبدو ـ احيانا من السفن الراقدة على الأمواج ٠

وفى بيت من هذه البيوت كانت تقف الأم كارار تحدث ابنها الشاب جوزيه الذى يبلغ من العمر خمســـة عشر عاما ٠٠ حديثا مليئا بالتجارب ٠

ان الحرب الأهلية تأكل أسبانيا ٠٠ والبلاد كلها قد انقسمت الى ـ معسكرين كبيرين والضــحايا تتراكم ٠٠ والدماء ترسم بمسيلها الشاحب النقى قصة أمة شجاعة تحاول ان تنتصر على نفسها وان تؤكد للعالم كله حريتها وانسانيتها وكرامتها ٠ والأم كارار تحيا فى هذه القرية المنعزلة بعيدا عن المعركة تصـل الى اذنيها احيانا طلقات المدافع ٠٠ وتستمع من المذياع الى البلاغات الدموية التى تردد بصوت روتينى رتيب كم من الجنود قد قتل وكيف يتقدم فرانكو أو كيف تستسـم المدن الشجاعة المسـكينة التى تحارب دون سلاح وتقف فى وجه أسلحة الديكتاتورية الحديدية ٠

ان الأم كارار كانت تؤمن بالثورة ٠٠ ولكن هذه الثورة قد أكلت رجلها وزوجها ٠ قتلته ٠٠٠عاد اليها جثة ٠ووقفت نساء القرية فى دارها يرتدين الأوشحة الســـود ويرتلن النشيد الجنائزى الأخير ٠ كانت تؤمن بالثورة لأنها كانت

تؤمن به وهاهو قد ذهب ·· قد قتل ·· قد نسى ·· كما تنسى قطرة الندى بعد ان تنوض الشمس الحارة ·· لم يبق منه الا هذان انشابان ·· جوزيه الفتى الذى يقف الآن الى جانبها يحدثها وولدها جوان الشاب الذى حل محل والده فى اعالتها وفى ادارة شئون بيتها وفى بث شىء من الدفء فى عظامها الباردة ·

انها تحدث جوزيه الفتى بعبارات مقتضبة عندما يتهمها بأنها امرأة انانية لاتفهم معنى لنوطنية أو الكرامة أو القومية · تجيبه بكلمات حادة واضحة ، (لقد دفعت ضريبتى للثورة ·· لم أعد مكلفة بشىء ·· لا استطيع ان امنح هذه الثورة كل ما أمنك · لقد اعطيتها زوجى وشبابى · فلتترك لى على الأقل ولدى ··)

وجوزيه يجيبها بعبارات نارية تطل النشوة منها والاندفاع والحماسة ·· انه يرغب بالذهاب الى ساحة المعركة ليكافح ليدافع عن حريته وعن أرضه وعن كرامته ·· ان سنه الصغيرة يجب ان لاتمنعه ·· الا يمكنه ان يمسك بالبندقية ؟؟ الا يمكنه ان يكون فردا فى هذه المجموعة الكبيرة التى تناضل كى تجعل من أرض أسبانيا أرضا حرة ومن رجال أسبانيا رجالا حقيقيين ؟؟

ولكن الأم لاتستمع الى هذه الكلمات الملآى بالألم والثورة والاندفاع ·· ان نظرتها عالقة فى البحر ·· فى

هذا المصباح المعلق على السفينة التى خرج بهـــا جوان ليصطاد ·· ان هذا النور المتحرك الخافت يعلن لها ان جوان لازال معها ·· لازال حيا ·· لتكن القرية كلها ضدها ·· انها لاتبالى ·· ان جيرانها يفتحون المذياع ويرفعون من صوته كى يجعلوها تسمع بلاغـــات فرانكو المليئـة بالسم · ان البعض ينظر اليها وكأنه يتساءل ان كانت حقا هى الأم ـ كارار التى وقفت تعارك فى مطلع الثورة الى جانب زوجها ·· والتى كانت تدفع رجلها دفعا كى يقاتل فى المعركة ويناضل فى سبيل كرامته ··

وجوزيه الفتى لايخبر أمه شيئا عن هذه الاحـــاديث التى تدور حولها فى القرية أنه يخبرها ان الجميع يتهمها بأنها السبب الأول الذى يقف بين جوان وبين الذهاب الى المعركة ·· انها تمنعه متذرعة بشـــيخوختها وبضـــرورة اعالتها · وبما لها أيضا من سطوة الأمومة وحقهـــا ·· وجوان صامت متألم يذهب كل يوم بسفينته الى عرض البحر ليصطاد الأسماك ·· وليذكر بمرارة وأسى انه الشـــاب الوحيد فى القرية الذى لم يشارك فى معركة الخلاص ··

ولايمكننا ان ننكر ان الأم كارار لاتحس المأساة التى يعيشها ابنها · ولكنها تمضى مصرة على رفضها المساهمة فى الحرب · ان هذه الحرب لاتخصها ·· لقد دفعت الثمن لها ·· الم يمت زوجها لأجل الحرية لتكتفى هذه الحرية بضحية واحدة ·

وتأتى (مانويلا) خطيبة جوان ورفيقته فى مبادئه ٠٠ تقف امام (الأم كارار) ، وتخبرها بشجاعة وقسوة انها قررت ترك جوان الى الآبد ٠٠ انها لم تعد تحترمه ٠٠ ان الطاعة المذهلة وهذه السلبية التى تراها فيه قد كشفتا لها القناع عن عواطفها ٠

اننا نحيا فى عالم لايمكن ان نقف فيه موقفا سلبيا ٠ علينا ان نشارك مهما كان الأمر ٠٠ ان السلبية فى مثل هذا الوقت تعتبر ايجابية ضارة ٠٠ بل انها مساهمة فعالة مع العدو ٠٠لهذا شعرت مانويلا انحياتهالايمكنانتستمرمع جوان ولذلك فهى ستتركه ٠٠ وتصمت الأم كارار ولكنها تهمس بين شفتيها المغلقتين (لتفعل ماتشاء ٠٠ يكفى ان جوان حى) ٠٠

ويصل من قرية اخرى رجل عامل ليس الا الشقيق لتيريز كارار ٠٠ يحمل وجها صامدا حيا ٠٠ ونفسا هادئة تتأمل الاحداث مؤمنة بقدرية تاريخية لامفر منها وتسأله تيريزا كارار عن سبب زيارته ٠٠ هل اتى ايضا ليقنعها بضـــرورة رحيل ابنها جوان الى المعركـة ٠٠ ؟ لا ٠٠ ان سبب زيارته الحقيقى ليس هذا ٠٠ وسرعان ماتكشف الأم كارار أسبابه الخفية ٠٠ انه يرغب ببنادق زوجهـــا التى لازالت صالحة للاستعمال ٠ ان الثورة ستفشل لأن الثوار لايملكون سلاحا ٠٠ لا يملكون الا قلوبا عامـــرة

بالايمان واذرعا شديدة تنقبض امام هذه الدبابات الثقيلة التى تطيح بمثلهم العليا ٠

ولكن الأم كارار ترفض من جديد تسليم البنادق ٠٠ انهم لايفهمونها ٠٠ لقد اتخذت تجاه الحرب موقفا سلبيا فتسليمها البنادق يعنى بشكل من الأشكال مساهمتها ٠٠ يعنى بالتالى انها جبانة وانانية ٠٠ اذ تمنع ولدها من الرحيل والعراك ٠٠ عليها ان تكون منطقية مع نفسـها. وينساب الحوار حادا ٠٠ مليئا بالكلمات الحـارة التى تتحدث عن الحق عن الثورة عن دور الإنسان فى المعركة عن السلبية عن الحرية وعن كل مايواجه الانسان الحر فى هذا الركن الذى ـ تشعبت فيه المبـادىء والقيـم حتى أصبحت كخيوط العنكبوت لا أصل لها ولا قرار ٠

وخلال هذا الحديث كله تظل نظرات الأم عالقة بخيط النور النابع من سفينة ابنها الراقدة على الأمواج ٠

وتمر طائرة مسرعة ويسمع طلق نارى متكرر ويرتجف النور ثم يختفى وتتابع كارار عنادهـا ٠٠ ويقف العامل ليقول هذه الكلمات المليئة بالعرق والألـم (تيريزا ٠٠ لايمكنك ان تبعدى نفسك عن الأحداث ٠٠ انك فى وسط المعركة شئت أم أبيت ٠٠ أن سلبيتك لن تنقذك ٠٠ وهذا المنزل الأبيض ليس الا قناعا تضعيه على وجهك كى يمنعك من رؤية الأمور كما تحدث ٠)

وتدخل النسوة السود بعد قليل بنشيدهن الجنائزى ·· ويدخل رجل عجوز يحمل بين يديه جسد جوان ·· لقد قتلته طائرة عدوة كانت تحلق فوق القريـة ·· جعلت هدفا لها هذا النور المتحرك فى سفينته والذى كان تـرى الأم كارار فيه دليلا على حياته وعلى بقائه الى جوارها ·

وتكتشف (الأم كارار) خطأ موقفها كله ·· وتتحفز دون تردد وتقدم البنادق الى ابنها جوزيه الفتى ·· ثم تضع وشاحها الأسود على رأسها أيضا ويسألها العامل كلمة واحدة ·· (هل ستأتين أيضا) ·· وتجيبه دون اية رنة من حنان ·· (نعم ومن أجل جوان ··) ·· وتخرج الأم كارار تاركة جسد ابنها الشاب لتبكيه نسوة يرتدين السواد فى دار مليئة بشباك الصيادين ·

هذه هى النقطة العريضة المدهشة التى نسج حولها (برتولت بريخت) مسرحيته الرائعة (بنادق الآم كارار) فكشف بشاعرية جافة ملآى بقطرات الدم المتخثر وبالدمع الذى يرفض ان يسيل عن شرط الانسان العادى تجـــاه الأحداث الثورية الهامة التى تخترق حياته ·· كتب عن السلبية فى المعركة ·· وعن العجز عن اتخاذ موقف ورسم صورة أسرة لأم شجاعة ثانية رفضت لفترة صغيرة ان تظهر شجاعتها فدفعت ثمنا غاليا · ·ان (الأم كارار) بعاطفتها وعنادها وتشبثها مثال حى للأم الشرقية التى

تمنعها عواطفها الخاصة أحيانا ٠٠ من ـ المشاركة بالمبادىء العامة ٠٠

ولكن (الأم كارار) قد رفعت القناع أخيرا ٠٠ واستطاعت أن ترى ٠٠ وأن تساهم وان تكون انسانا حقيقيا ٠ ترى هل نجد بين امهاتنا ٠٠ اما شجاعة أو اما تشابه تيريزا كارار ؟

ـ ١٩٧٣ ـ

بيهــان والرهينــة

- برنارد بيهان وجه جديد فى المسرح الحديث
- الرهينة ــ وغنائية الحرب والثورة •
- شخصــيات لاتعرف الموت وتحيا من خـــلال مبادىء غامضة •

صــفة كبرى مميزة تطبع المســرح الايرلندى كلــــه ، وتعطيه هذا الطلاء الخـــاص به الذى يجعله يحتل مكانه ضمن الآداب المسرحية العـــالمية وأقصــــد بها (النزعة الثورية) ••

لايمكننا ان نتحدث عن رجال المسرح الايرلندى دون

ان نضعهم فى الحـــال داخـــل بوتقـــة ثورية معينة تحدد اطارهم وتسير شخصياتهم وتوضح المنحى الدرامى لكل مسرحية كتبوها · هذه الثورة ذات وجهين مختلفين ·· فهى أولا ثورة ضد نظام لايقرونه وهى ثانيا صراع نفسى خاص يشتعل فى قلب كل واحد منهم حول موقفه الحقيقى من نفسه ومن بلده ومن الأشخاص الذين يحيطون به ·

حتى السنوات الأخيرة كان الأدب المسرحى الايرلندى ممثلا ـ فى شخصيتين دراميتين كبيرتين ·· الأولى « سين اوكاسى » والثانية (سنج) ·· اما اوكاســى فيسير فى خطوطه المسرحية كلها حول مبدأ (الالتزام المسرحى) · المسرح فى نظره شهادة حقيقية عن وضع الانسان السياسى فى زمنه ·· ومن هذا الوضع السياسى يستمد البطل عند اوكاسى وجوده الحقيقى واتجاهه الدرامى فى المسرحيـة فهو اما ان يقول (لا) ·· أو يقول (نعم) ·· ومســـــرح اوكاسى مسرح ايجابى ·· ترى فيه الأشـــخاص الذين يقولون (لا) ·· يضمرون الرغبة فى العمل الثورى فى أعماقهم اكضرورة حتمية لتأكيد وجودهم وأبرز مثال على هذا الاتجاه مسرحية (ورود حمراء لأجلى) ومسرحية (جونو والطاووس) ·· ووراء هذا كلــه نجد القنـــاع الشعرى الذى يسيطر على المسرحية فيطبعها بهذا ـ اللون الشاحب للأمسيات التى تمتاز بها سماء ايرلندا ·

اما سنج فهو وان سار فى طريقه الثورى على نفس الخط العقلى الذى يسير عليه « اوكاسى » فان الشاعرية لاتميز أعماله كلها انما تحل محلها صراحة فى رسم خطوط الشـــخصيات تثير الاعجـــاب وقدرة على خلق الحادثة وتعقيدها ثم حلها تسبب دهشة ورضا كل من يشهد أو يقرأ لهذا الكاتب الفذ ٠٠

ووراء هذين الوجهين الدراميين ظهر وجه ثالث فيه الكثير من المـــــرح والعفوية وفيه الكثير من الجـــدية والخطورة وأقصد به «برنارد بيهان » ٠ وبيهان جديد على المسرح كتب مسرحيات لاتتجاوز أصابع اليد ٠٠ ولكنه كتب هذه المسرحيات بدمه وأعصابه فتألقت بضياء غريب مشبع لفت اليها الانظار ووجه الانتباه الى هذا الكاتب الايرلندى الجديد الذى يعيش (ثورته) بضحكة طويلة صفراء تخدع الناظر اليها فيخالها مرحا ٠٠ ولكنه ان زاد تحديقا فانــــه سيكتشف انها ابتسامة انسان يحتضر وهو يعلم انلاخلاص له ٠ وان العالم الأسود سيلف عاجلا أو آجلا جســــده الصغير الذى لازال يقاوم ٠

من مسرحيات بيهان التى تمثل فنه أصدق تمثيل لفتت نظرى مسرحية بعنوان (الرهينة) ٠٠ قدمها جان لويس بارو هذا العام فى باريس بأسلوب ذكى استطاع بواسطته ان يلقى الأنوار الكاشفة على هذا العالم الذى ترتطم فيــه الزهور الوحشية بحوض الاستحمام المتسخ ٠

المسرحية تدور فى مقهى ذى طابع خاص · يحمل على واجهته عنوان ـ (حانة) ولكنه يخفى بين غرفه أشـياء كثيرة أخرى ··

فى هذه الحانة تقف شخصيات عدة ··صاحب الحان رجل سكير يهرب من واقعه ويروى لنفسه ولمن يستمع اليه اساطيرا بطولية يحتل فيها دائما مركزا مدهشا لايجاريه فيه أحد ·· وعشيقته التى تفهم التيارات المتدفقة فى نفسه ولكنها تقف فى طرف منها راغبة أن تتناساها كى تحيا حياة سعيدة ممكنة ثم امرأة مبشرة تكتم رغباتها وراء تراتيل دينية ذات معنى غريب ·· وعدد من العاهرات وعدد من الشـــاذين جنسيا ·· ورجل بوليس وخادمة بريئة ساذجة تتطور وتعمل وتخدم ·· وهى ترعى فى اعماقها ياسمينة زرقـــاء تنتظر من يكتشفها ويقودها الى غايتها الصحيحة ·

هذه الشخصيات جميعها تتحدث وتغنى ·· وتعلـــق على الاحداث الدولية والخاصة ·· ومن خلال هذه الأحداث المتفرقة نعرف ان ايرلندا تخوض ازمة سياسية مزمنة يرى البعض فيها نكتة قد استمرت أكثر مما يجب ويرى البعض الآخر أن هذه الثورة هى ســبب وجودهم كلـــه ·· ولكن الثورة تندلع وراء الزجاج ونحن نحيا فى حانة ممهورة بطابع معين ·· لذلك فلا يمكن للثورة ان تطولها ·

ونستمع فيما نستمع الى ان الانجليز قد امسكوا بأحد

مثيرى الفتن وانهم يحاكمونه ومن المحتمل ان يقتلوه ٠٠ ثم نستمع من جهة أخرى الى ان الثوار قد امســـكوا بجندي انجليزى كرهينة وانهم يهددون بأن هذه الرهينة ستقتل اذا قتل الثائر ٠

حتى الآن ٠٠ لم تصب كل هذه الاحداث في (حانتنا) ٠ فلا زال الرواد يتحدثون وكأن الأمر بعيد عنهم تماما ٠٠ أو كأنهم يشهدون مسلسلا بوليسيا أو يتابعون مباراة لكــرة القدم ٠

ولكن مايحدث بعد ذلك هو ان الثوار قد قرروا وضع الرهينة في هذه الحانة بالذات حتى يقرروا مصيرها نظرا لكون هذه الحانة فوق الشبهات السياسية ٠

وهنا تبدأ الشخصـــــيات تتطور تطورا مختلفا ٠٠ هنا يختفى الطلاء الملون ليحـــل محلـــه الوجه الحقيقى لسكان ايرلندا ٠٠ وجه يختلط فيه القبـــح بالجمـــال ٠٠ والنبل بالانحطاط ولكن روعة بيهان ومهارته المسرحية ٠٠ لم تجعل من هذه الحادثة سببا لمسرحية جديدة ينظر اليها بعمق وتحل المشكلة باطار فلسفى ٠ لا ٠ بل اختار بيهــان طريقا شعرية غنائية ربط فيها بين تيارات نفوس شخصياته المعقدة فى قيد شعرى عجيب اميز مايميزه الخفة والبساطة وروح النكتة ٠٠

فالأسير الانجليزى شاب لم يتجاوز العشرين ٠٠ يكاد

لايصدق انه سيموت بل ان الثورة بالنسبة اليه ليست الا أكذوبة ضخمة ‥ انه يعتقد ان الأمر كله مزاح من نوع خاص . لذلك فهو لايفكر بمصيره قدر مايفكر باكتشــاف الياسمينة الزرقاء التى تختفى فى قلب الخادمة الصغيرة .

بل ان (رواد) الحانة كلهم ينظرون الى هذه الرهينة من منظار خاص يريهم أنفسهم وموقفهم وحيـاتهم ‥ كل ذلك من خلال جمل سهلة واطار مصنوع بعناية يبدو من الخارج وكأنه متكلف ويحس من يحيا فيه ان بيهان صنعه من احشائه وأعصابه .

وتنتهى المسرحية بين الضحكات المرحة وبين اللامبالاة بقتل الثائر الايرلندى وبقتل الجندى الشاب وامام الجثة المسكينة يقف الجميع ليغنون أغنية ســعيدة بينما تقبـع الخادمة فى ركن من المسرح تنشج لوحدها بصمت .

من الصعوبة كل الصعوبة أن الخص مسرحية لبيهان ‥ فهذا المؤلف قد كتب ليمثل ويعبر عن نفسه من خلال هذا الحوار المضيء المليء بالتأمل الغامض وبالســخافة المنطقية الحلوة . ولكنى لم استطع ان أمنع نفسى من ان أحيي كاتبا مسرحيا فذا ومسرحية غنائية حزينة واتجاها فى المسرح له دلالته وله عمقه وله تأثيره لأنه قد اختــار كقاعدة له موضوعا ابديا دائما هو الانسان الثائر الذى تمنعه ظروف حياته القاسية من تحقيق ثورته حتى نهايتها المنطقية الحمراء .

ـ ١٩٦٨ ـ

سافو .. وداريل .. والملل

- سافو .. عمل مسرحى له ابعاده العميقة الغامضة
- شخصيات كالاقطاب . تتعارك فى ارض صلبة .
- الملل والانتحار هما العاطفتان اللتان وقف امامهما داريل .

لم تشهد دنيا الأدب الحديث فى السنوات الأخيرة اسما سبب هزة فى كافة الأوساط ورصيدا ثقافيا خطيرا ترك اثره فى كثير من الأعمال الروائية الأخيرة كاسم لورنس داريل والرصيد الذى انتجته رباعيته الشهيرة (الاسكندرية) .

ان لورانس داريل ليس شابا يجرب خطواته الأولى فى عالم القصة وليس كاتبا اكتشف موهبته فى فترة الظهر من عمره • بل هو كاتب حقيقى أصيل يكتب منذ زمن بعيد ولكن لم يتسن للشهرة هذه الغانية المتقلبة الأهواء ان تصيبه الا منذ سنوات خلت حين ترجم الجزء الأول من رباعيته المذهلة (جوستين) الى الفرنسية •

يتميز أدب داريل أول مايتميز بصفائه الشعرى •• وبالتكنيك الحديث المعقد الذى يعرض به شخصيات قصصه فنحن امام فئة من الناس تحيا فى مدينة كبيرة ومن خلال جو هذه المدينة الغارقة بضباب يجعلها أقرب للأساطير منها الى الحقيقة • تبدو وجوه الشخصيات دون ترابط زمنى منطقى • يرسم مؤلفها من خلال طرقات المدينة وسماءها •• خطوط مصيرها •• وتقلبات اهوائها:جورستين•بلتازار•كليا مونتوليف•أربعة خطوط منعزلة تتجمع احيانافىلحظةنفسية لترسم لنا شكلا مختلفا عن الشكل الذى سبقه • ومن هذه المجموعة من الأشكال •• يتضح عالم واحد •• عالم جبار هو عالمهذهالمدينة ذات السماء الزرقاء والبحر •• ذات البيوت المتجمدة البيضاء وذات الطرقات الملآى بالغبار حيث تقف جوستين ورفاقها يقتلهم سرطان الحضارة والملل والبحث عن المستحيل •

لم تشر رباعية الاسكندرية ولا القصص التى تلتها أو الخواطر التى سبقتها ان داريل سيتجه الى كتابة المسرح

٠٠ لذلك كانت مفاجأتي كبيرة حين وقع فى يدى هذا الكتاب الكبير الضخم الذى دعاه مؤلفه داريل باسم (ســــافو) والذى يتضمن مسرحية شفافة رائعة فى تسعة فصول ٠

المسرحية ألفها داريل فى سنة ١٩٤٧ قبل ان تتسـلط عليه الأضواء الباهرة ٠٠ وحين كان حرا كل الحرية فى التعبير عن عواطفه وأفكاره كما يريد وكما يحس دون اى ضغط جماهيرى مباشر أو غير مباشر ٠ ومع ذلك رغم هذا النفس الشعرى المذهل ٠٠ ورغم هذه الشخصيات الاسرة المسيطرة ورغم هذا الحوار السلس العذب تفتقر مسرحية (سافو) ٠٠ الى العصب الرئيسى الذى يجعلها تقف على قدميها متحدية ٠٠٠٠ واقصد بذلك (البنيان الدرامى) ٠ المسرحية حوار طويل شائق عن مواضيع عدة: الحرية الحب الجنس الشهرة الملل الدكتاتورية الجشـع الحضــارة ، الحرب ٠ كل من هذه المواضيع الهامة قد عولج بأسلوب فيه الكثير من الذكاء والبراعة وفيه الكثير من التامل الحزين الفاجع ولكن كثرة المواضيع وطول المســرحية اللامنطقى وهجران الشخصيات لكل مايذكرها بأن هناك جمهورا يتابع انفعالها وانجراف المؤلف الى شرح مواضيعه التى يحبها شرحا مفصلا وافيا والقفز من موضوع الى آخر دون ربط منطقى أو تهيئة نفسية كل هذه الأسباب تجعل من مسرحية (سافو) مسرحية فاشلة فى مرماها المسرحى وناجحة بل وناجحة جدا فى مضمونها الفكرى والثقافى ٠

نحن عندما يرفع الستار فى جزيرة لسبوس ٠٠ حيث تقطن شاعرة اليونان الشهيرة ســـافو ٠٠ تنتظر ٠٠ كما ينتظر شعب جزيرتها عودة القائد المنتصر (بيتاكوس) ٠٠ انها تجلس امام اصدقائها تحدثهم وتستميلهم وهى واعية كل الوعى بمصيرها وشرطها ٠٠ عاطفـــة واحدة مدمرة تأكلها كالسرطان ٠٠ هى الملل ٠ من تكرار الحياة ٠٠ من تتالى الأيام ٠٠ من انتظار شىء أو حدث لايمكن ان يبعث فى نفسها القلقة اى انفعال ٠٠ لذلك فهى تتمنى أن يحدث زلزال ٠٠ يقضى ـ عليها وعلى مدينتها ورفاقها ويقودهم الى عالم النسيان أو عالم المدينة الغارقة ٠

الى جانبها يقف الحكيم مينوس مدافعا عن الحياة ٠٠ عن الذكريات القديمة ٠ عن السماء القديمة التى اعتادها ٠٠ عن العواطف الحلوة التى احسها والتى غدت ســـبب حياته ٠

امام هاتين الشخصيتين يقف (فارون) الشاب الشاحب ٠٠ اخو (بتاكوس) التوأم الذى لكفر بالانسان ٠٠ وآمن بأن ليس هناك الا حل واحد هو الصمت ٠٠ والوحدة ٠٠ واللامبالاة ٠٠ انه يؤمن بأن الطريق الوحيدة للتخلص من فساد العالم هو العودة الى الصـــوفية المغرقة ٠ بعيدا عن كل شىء ٠٠ عن الانسان ٠٠ وعن الحب وعن الشعر وعن الطغيان وان يحيا الى الابد فى جزيرة منعزلة لا اسم لها ٠ الى جانبه نرى كريون زوج سافو انســـان واقعى يؤمن

بالمال وبسيطرته ويؤمن بأن العاطفة هبـاء وان السـلطة العسكرية أمر واجب لحكم هذه الجزيرة ٠٠ وإن التجارة الناجحة هى التى يمكنها ان تسيطر على هذه السـلطة العسكرية وتقودها الى حيث تريد ٠ لذلك يحيا كريون بأمل استخراج وثائقه من المدينة الغارقة فى ليسبوس القديمة ٠ وهنا يستعمل داريل فى مسرحيته رمـزا عجيبا يعطيهـا بعدها العميق فهذه الشخصيات تحيا بعد زلزال كبير أطاح بالمدينة القديمة ، ورماها تحت البحار ٠ ولكنها دائما ماثلة امام اعينهم باعمدتها الغارقة،بهياكلها التىجللها الماءبطرقاتها المنعزلة بحياتها الصامتة انها كالذكرى تحوم فى كل لحظة من لحظات المسرحية ثابتة كأنها رمز همجى لايتحرك ٠

الى جانب هذه الاقطاب الأربعة ٠٠ يقف (ديمومينيوس) الشيخ ٠٠ الثمل ابدا ٠٠ الذى يرى ان الخمر هى الحقيقة الوحيدة لبعث الأشياء الجميلة ٠٠ انه يقول فى مطلـع المسرحية (ان الثمل طبيعتى الثانية٠٠حلون٠٠ناعمة ٠٠ وذات عبق ٠٠ كالربيـع) ٠٠ هذه الشـخصية الحلوة الغنائية ٠٠ يدفعها داريل الى الانتحار فى آخر فصـول الرواية ويضع على شفتيها هذه الكلمات القاسية المؤلمة (لو اشتريت بما بقى لى من مال سما عوضا عن الخمر لانقذت نفسى من هذا الملل الذى دحرنا جميعا ٠٠ نحن ٠٠ واشعارنا) ٠

وتستمر الشخصيات بتفاعلها ٠٠ سـافو تحب فارون وترى فيه أملا للخلاص من مللها ٠٠ وكزيون يفتش دون انقطاع فى المدينة الغارقة عن سنداته الضـائعة التى ستجعله أكبر الاغنياء اذا وجدها ٠٠٠ ومينوس مع حكمته والشاعر الثمل مع أشعاره حتى يصـل (بيتاكوس) ٠ منتصرا ليضع شروط ديكتاتوريته ٠ بيتاكوس هو السلطة المريرة ٠٠ التى توصل اليها بقوة ساعده والتى اصبحت مبدأ يقيم عليه حياته (فى العالم الذى نحيا فيه ٠٠ لايمكن الا لطاغية أن يحكم) ٠٠ أو يقول ضاحكا (لاشىء ينضج الرجل كالسلطة) ان عالمه هو الأرض ٠٠ القاسـية ٠٠ الصلبة التى لايمكن لقدم ناعمة ان تقف ثابتة عليها ٠ يقول مواجها سافو التى تدافع عن القيم الروحية (لايمكننى ان ارتفع الى عالم الافكار ان مسرحى هو الأرض) ويبرز قوته ودمويته بهذه الكلمات الفاجعة (ليست هناك براءة تحت الشمس نحن جميعا ضحايا) وتسير المسرحية بعقدتها حتى النهاية٠ القائد العسكرى الذى يفرض سلطته الغاشمة سافو التى تجد فى قوة الحقد عاطفة تنسيها مللها من الحياة فتتآمر حتى تنزل الطاغية وتقتله ولكن داريل يتركنا فى آخر سطر من سطور مسرحيته أمام مولد طاغية جديد وامام ابنة سافو التى تبكى بحرارة امام والدتها التى كادت ان ان تفقد وجهها الانسانى ، المسـرحية غنية ورائعـة ٠٠

ملاى بالعطر والغموض والنغم ·· انها نشيد جليل ··
يقرأ امام شمس تغرب وعلى نغمات موج ثائر ولكن الأسى
يصيبنا حين نتـــم قراءة هذه الفصـــول المدهشة ونتمنى
مطرقين لو استطاع داريل ان يجعل من مسرحيته الرائعة
هذه مسرحية صالحة للمسرح ·

ـ ١٩٦٨ ـ

مغـارة انوى القاتمـة

- انوى .. جرد الشخصيات المسرحية من اساطيرها البراقة .
- اسلوب جديد مبتكر فى البنيان المسرحى .
- المغارة / واحدة من اهم مسرحيات هذا الموسم .

منذ أكثر من ثلاثين عاما .. وجان انوى يمد المسرح الفرنسى خاصة والمسرح العالمى عامة بمسرحياته المتوالية . مسرحيات قوية التركيب .. رائعة البنـــاء .. مـــلأى بشخصيات قاسية غامضة تدخل الى خفايا النفس وتتكلم بلغة مشبرقة كلها ضياء وكلها نغم .

منذ سنوات كثيرة وانوى يمسك بمبضع حاد يطعن به فتخرج الدماء صافية عذبة تكتب بأحرف من نور ·· شرط الانسان العادى فى القرن العشرين وأحلامه المستحيلة فى تحقيق عالم عادل وأمله المكبوت بتحقيق حب عظيم صادق· ايمانه العابث ببراءة تكاد تكون ممكنة ولكن احداث الحياة وظروفها ·· وبشاعة البشر وحقدهم كافية لأن تقتلها الى غير رجعة ·

من خلال شخصيات رسمها انوى فى مسرحياته ·· ورسم لنا من خلالها عالمنا المعذب المضطرب · ومن خلال اسماء اخذها من واقع حياتنا اليومى ·· ومن الأساطير اليونانية او من الأحداث التاريخية المعروفة ·· استطاع انوى ـ ان يخطط مسرحه ·· وان يضع له دعائمه فيصبح بذلك واحدا من اشهر الكتاب المسرحيين لافى فرنسا فحسب بل فى العالم اجمع ·

كتب انوى عددا كبيرا من المسرحيات اشهرها واجملها انتيجونا·ميديا·اوريديس · كولمبا · جان دارك · بيكيت · روميو وجانيت · المتوحشة·مسافر بلا امتعة·فى كل واحدة من هذه المسرحيات ·· نجد انفسنا امام ، عالم مضطرب تختلط فيه البراءة بالوحشية والحب الصافى كالجوهـرة الزرقاء بالشهوة اللاهبة التى يشع منها الصديد والعفن · ولايكتفى انوى بهذه الشخصيات التى رسمها اسرة قوية

فعالة وحملها كل ما يعرفه عن الحب والايمان والمثل العليا والسياسة والتمرد ٠

بل انه استعمل فى مسرحه طرقـا جديدة فى التركيب الفنى وفى البنيان الدرامـى ٠٠ جعلته اماما حقيقيا لفن المسرح فى القرن العشرين ٠

فهو أول من قرب شخصيات التراجيديا اليونانية الى عالمنا المنهار ٠ فجعلها تتخلى عن اطارها التاريخى وتقف أمامنا عارية مجردة عن اساطيرها تتحـدث حديثا مليئا بالشفق وبرائحة الأمواج المختلطة بدوى القنـابل وعفن الجثث التى لم تجد قبرا ٠ فها هى انتجونا مثلا فى ثياب سوداء رخيصة تقف أمام كريون الذى يرتدى السموكنج ويشرب السيجار تحدثه عن الحرية وعن حقها فى التمرد ٠

وهاهى اوريديس فى ثوب من الصوف المصنوع تجلس فى مقهى رخيص من الدرجة الثالثة تحاور اورفيوس وتجعله ينظر الى وجهها الحقيقى فيخسر بذلك جنته واحـلامه وموسيقاه ٠

وها هى جان دارك بسذاجتها المصنوعـة وبتدبيرها المحكم تخطط سياسة ومستقبلا لبلدها واعية كل الوعـى مدهشة فى تلونها وفى محاكمتها ٠ انها امرأة عادية يمكننا

ان نراها فى كل منعطف طريق · أو امام كل مصيبة كبرى تحل فى البلاد ·

لقد اراد أنوى ان يقرب الابطال الاسطوريين الى بشر القرن العشرين ·· اراد ان يشعرنا اننا انت وأنا يمكننا ان نكون انتجونا أو جان دارك أو بيكيت · يمكننا ان ننظر الى الثورة الفرنسية هازئين بها ·· واضعين النقاط على الحروف كما فعل فى مسرحيته الاخاذة (بيتوس) كما يمكننا ان ننظر الى المسرحيات ـ العالمية نظرة مختلفة ·· فنجردهـــا من مضمونها الأصلى ونعطيها دما جديدا ·· وهذا مافعله بمسرحية (روميو وجانيت) التى رسم لنا فيها بشـــكل معاكس يناقض كل المناقضة درامـــا العاشـــقين اللذين انقذهما الموت من بؤس العالم الاجتماعى الذى يعيشان فيه ·

بل هذا مافعله أيضا فى هذه المسرحية المذهلة العجيبة (البروفة ·· أو الحب المعاقب) · التى اعتمد فيها على مسرحية لماريفو ·· فخلق بذلك عالمين يسيران فى مسرحية واحدة ·· عالم ماريفو ·· وعالمه فوضع بذلك شكلا من أشكال المسرح لم يسبقه اليه أحد ·· وبنجاح لامثيل لـــه حقا فى تاريخ الأدب الفرنسى الحديث ·

والآن ·· هاهو أنوى يخرج علينا بمسرحية جديدة ·· اطلق عليها اسما جديدا مثيرا للتساؤل ·· (المغارة)

•• ماهى المغارة ؟؟ وماهو الشكل الجديد الذى رسـمه آنوى فى مسرحيته الأخيرة هذه ؟

المغارة هى عالم الخدم فى قصر فرنسى كبير • هـى العالم الذى تحيـا فيه هذه الطبقة العاملة الكادحة بحبها والآمها ونشوتها واحلامها ••

انها المغارة التى تضيئها •• بقعة دم أو قطرة دمع •• ولكنها مع ذلك هى التى نسمع فيها حقائقنا المذهلة البشعة •• وهى التى تقودنا الى النور الكاشف المخيف الذى يرينا كل مافى احشائنا •

ابتدأ آنوى مسرحيته بنقطة انطـلاق بوليسـية •• الطباخة الكبيرة توجد مقتولة فى صـباح أحد الأيام فى المطبخ •• من الذى قتلها •• ولماذا قتلت ؟

من هذا الانطلاق البسيط •• رسم لنا انوى عالمـه المدهش الجبار فى مسرحية هى دون شك أجمل ماكتب خلال السنوات الأخيرة ••

حين يرفع الستار •• نحن امام مسرح مقسوم الى طابقين • الطابق الأول • طابق السادة •• الحاكمون •• المسيطرون •• وطابق الخدم (المغارة) التى تحيا فيها فئة من الناس •• لها آمالها •• ولها الامها •• لها مثلها •• ولها حقائقها ••

ما ان تبدأ المسرحية حتى يظهر الممثلون جميعا ٠٠ والمؤلف ٠٠٠ يقفون امام الجمهور يحدثونه ويحدثون المؤلف ٠٠ كيف يجب ان يفعلوا ٠٠ وما هى المسرحية التى سيلعبونها وكيف يجب ان تسير المشاهد ٠ هل علينا ان نقدم المسرحية بشكلها البوليسى ؟ والا تظهر المرأة القتيل ٠٠ وانما نكتشف عالمها وعالم الشخصيات التى تحيط بها من خلال التحقيق ٠٠ (وبالفعل ٠٠ فاننا نرى بالحال مشهدا فى هذا الاتجاه) ام اننا يجب ان نعيد المرأة الى الحياة وأن ندعها تروى قصتها وان تكتشف الأسباب التى دعتها للموت ٠٠ (وعند ذلك ٠٠ نرى المشهد نفسه بطريقة اخرى) ٠٠ وهكذا تسير المسرحية بشكل ربما كان مأخوذا بصورة عامة عن بيراندللو ولكن اى تحديد فى المعالجة ٠ اى طلاوه وخفة فى الحوار ٠٠ اى نقاء فى الشخصيات ٠٠ فنحن امام مشاهد متعددة يختلط الواقع فيها بالخيال ٠٠ الحادث نفسه يعاد من خلال زوايا متعددة ٠٠ شخصيات تظهر وتختفى ٠٠ واحداث تتأكد أو تتناقض ومن خلال هذه الجريمة ٠٠٠ يبدو لنا عالم الأسياد ٠٠ وعالم (المغارة) عالم الأشخاص الذين يتألمون ٠٠٠ عالم البؤس وعالم الأمل٠٠وعالم السادة ٠٠ الذين ينظرون من أعلى الى الآم سواهم ٠٠ واضعين على جروحهم الفاسدة ٠٠ ثياب الدانتيل مجللين عقنهم بالروائح الغالية والعطور ٠٠ انى لا أرى مسرحية فرنسية حديثة خلال هذا العام أجدر بالانتباه من (مغارة انوى ٠٠) انها

رحلة مضيئة الى عالم كبار كتاب المسرح ·· انهم خـدم ماريفو من خلال معالجـة بيرانديليه انهـم شـخصيات ديستوفسكية قد تقنعت بكلمات جارحة لتخفى المها المكبوت المذهل ·· ولتسير بعد ذلك فى طريق صليبها المحتوم ·· لقد بنى لنا آنوى فى مسرحيته هذه مغارة حقيقية نكتشف فى عتمتها المدروسة ··· حقائق نفوسنا القاسـية ·· تضيئها لنا ·· حساسيتنا ·· وشيئا من دموعنا ·· ان كنا حقا لانزال قادرين على البكاء ··

القيثارات .. أحيانا

يبدو ان هذا الهمس المليء بالدفء .. الذى تردده هذه الصبيه المتمردة . امام شاطيء مقفر .. وامام بحر مزمجر .. قد آن له ان يخفت وآن له ان يختفى .

هذا ما اوحت الى به .. قراءة مسرحية فرانسوازساجان الأخيرة .. «القيثارات احيانا» . ساجان .. كاتبة فرضت نفسها..وظاهرة ادبية ذات مدلول نفسى وحضارىعميق . فمما لا شـــك فيه أن ظهورها فى دنيـا الأدب كان ظهورا مفاجئا .. مهدت له دعاية ادبية واسعة .. وضجة قائمة على امور لاتنتمى بأكملها الى ميدان الأدب الصرف . ولكن

هذا كله يمكن أن يبرر نجاح القصة الأولى / لساجان / فحسب ولكن الجدير بالاهتمام أن قصص السيدة ساجان الثانية أتت أجود من الأولى ·· وأشد اصـــالة ·· مما جعلنا ننظر بشيء من الاهتمام الى هذا الوليد الأدبى الجديد الذى يستطيع أن يتكلم ··رغم ضجيج الدعاية··ويستطيع أن يرى ·· رغم الأنوار الكاشفة الباهـــرة الموجهة الى عينيه ··

عن ماذا تكلمت ساجان ·· وما السبب الذى دعا ·· فئة من المثقفين الى تبنى أدبها والدفاع عنه ·· واعتبارها واحدة من خيرة جيل الكتاب الناشئين فى فرنسا !!

ساجان ·· تحدثت عن نفسها ·· رســـمت صـــورة أسرة لمجتمعها · خطوط دقيقة وجافة لنساء فقدن كل أساس روحـــى ونفسى لبناء حيـــاتهن فأصـــبحن ضـــائعات تائهات فى دنيا كلها ضباب وكلها وجوه قاسية متوحشة لاتعرف كيف تغمض عينيها ·· أو تهمس باخلاص كلمـــة حب صادقة ··

هذه المجموعة العجيبة من الشـــخصيات هى التى أعطت قصة مثل (فى شـــهر ·· فى عام) مـــدى نفســـيا واجتماعيا هاما ·· أضف الى ذلك طلاوة أسلوب ساجان وحسن ســـبكه ·· فاذا بنا نجد هذه الكاتبة تنمو رويدا

رويدا واذا بهـا وجه ثقـافى كبير من وجـوه الأدبفى فرنسـا ٠٠ يذكر اسـمها حين يذكر اسـم (سيمون دوبوفوار /٠٠ و (مارغريت دوراس /) ٠٠ وان كان الفارق الأدبى الذى يفصل بين هاتين الأديبتين الكبيرتين وفرنسواز ساغان فارقا هائلا لا يمكن لأقدام الآنسة ساجان الدقيقة أن تتخطاه ٠

هذه الشهرة المبنية على الدعاية الواسـعة ، هـذه الطلاوة فى الأسلوب ٠٠ هذه المهارة فى خلق الشخصيات ٠٠ دفعت السيدة ساجان الى المسرح ٠٠

فاذا بنا فى العام الثالثمنذيوع اسمهانجدهاكاتبةمسرحية نشطة تقدم بأسلوب ملىء ـ بالخداع ٠٠ وبالتلاعباللفظى٠٠ مسرحية اطلقت عليها اسم (قصر ٠٠ فى السويد) ٠٠ ونجحت المسرحية نجاحـا لاريـب فيه ٠٠ أولا لجـدة موضوعها ٠٠ وثانيا للمهارة التى استطاعت ساجان بها ان ترسم وجه بطلتها النسوية : امرأة ثرية ٠٠ تشعر بملـل عجيب يخترقها ٠٠ وتحاول كيفما كان الأمـر ان تخلق بمساعدة قريب لها ـ هو عشيقها بنفس الوقت ـ تراجيديا كبيرة ٠٠ كى تملأ حياتها ٠٠ وتعيدها الى انسانيتها ٠٠ وتدفق شيئا من الألم فى قلبها الجامد الذى خلا من الدم ٠

ولكن التراجيديا فى عصرنا هذا ٠٠ اصبحت مستحيلة ٠٠ حتى ولو كنا نحيا فى (قصر فى السويد) ٠٠ يحوطنا

الثلج من كل جانب ·· ويمنعنا من رؤية العالم والآخرين ·
·· وهكذا تفشل المؤامرة ·· وتصبح التراجيديا مهزلة أقرب ماتكون الى (الكوميديا الفارس) ·· التى يختبىء فيها الرجال فى خزائن السيدات ·· وحيث يمسك السـادة بالخادمات وراء الابواب محاولين اختلاس قبلة مشـروعة فى نظرهم · وان كانت ساجان قد استبدلت فى مسرحيتها شخصية الخادمة ·· بشخصية شعرية حاولت ان تهزأ فيها من اوفيليا شكسبير ·· فأطلقت عليها اسم أوفيليا أيضـا وجعلتها تسير فى الليل على ضوء مصباح كليدى ماكبث مجنونه ·· محلولة الشعر ··

المهم ان المسرحية رغم الكثير من التخبط نجحت لأنها قدمت لنا بأسلوب جديد ·· فكه ·· صورة من مجتمعنا الزائف الذى يبحث عن العظمة فى عالم لم تعد فيه عظمة · وعن الاحلام ·· فى زمن أصبح يعتبر الاحلام ·· ضربا من الجنون النفسى ·

وأحس الجمهور المسرحى فى العالم بارتياح حلو ·· اذ ولدت لكاتبه مسرحية جديدة ·

هذا الارتياح ·· حلت محله ·· مرارة فاجعة ·· بعد ظهور مسرحية ساجان الثانية (القيثارات ·· احيانا) · ـ ·· هذه المرة ·· ارادت ساجان ان تهزأ من ديستوفسكى ومن (عبيطه) ·· فرسمت لنا شخصية انسان طيب لامبال

في عالم موبوء فاسد : • وجعلتنا نشعر ان الرحمة والغفران اللتان يواجه بهما العالم ليستا الا اداة مذهلـــة للانتقام والثأر • ولكن أى تفكك فى رسم الشخصيات •• اى انهيار فى البنيان الدرامى •• أى صفاقة ووقاحة فى الحوار •• لقد خيل لى وأنا اقرأ بعض المقاطع انى عدت أربعين عاما الى الوراء •• وانى أشهد مســــرحية لهنرى باتــاى أو مسرحية لجان دولاتراز •• شخصيات متفككة •• تحاول ان تنال من بعضها • الألم المصنوع •• البحث اللامجدى عن المأســـاة • الجسد ثم الجسد • الشره للمـــال •• عدم الايمان بالعاطفة •• الضعف النسائى • كل هذه الأمور لم تؤخذ بيد من حديد •• وتعالج بصورة مرنـــه قاسية •• وانما غلفت بستار زائف من البريق الرخيص •• فأتت اشبه ماتكون بقناع كرنفال ينظر اليه لحظة ثم يرمى باهمال ••

حتى الشخصية النسوية الرئيسية (وهذا مانجحت به ساجان حتى الآن فى كافة ما كتبته من مسرح وقصص) •• نجدها هنا دون هـــدف مركز أو غاية ثابتة تســير كدمية لاتعرف ماتريد •• تفتش عن الألـــم •• تبحث عن النسيان تريد ان تكفر وان تغفر •• وان تحب •• دون جدوى •• ترى هل ارادت ســـاجان ان ترســـم صــورة كاريكاتورية لشخصية (انستاسيا فيلوبنفا) •• •• فى رواية ديستوفسكى ايضا ! ان كان ذلك صحيحا فالمصيبة

جسيمة ولاتحتمل والخطأ يستدعى الهزء أكثر مما يستدعى الاستنكار ٠

(القيثارات ٠٠ أحيانا) ٠٠ خطأ ادبى ومســـــرحى ارتكبته الكاتبة الشهيرة ٠ وكان لزاما عليها ان تفكر مرتين قبل ان ترسله للأضواء ٠

ان زمجرة البحر قد اشتدت ٠٠ والصوت الذى كان مرتفعا قد خفت الى حد بعيد ٠٠ وكم اصبحت اخشى ان يختفى الى الأبد ٠ « القيثارات ٠٠ أحيانا » نعـــم حتى القيثارة مهما بلغت من دقة الصنع ٠٠ وجمال الزخرفة ٠٠ قد يصيبها العطب ٠٠ فتخرج اصواتا بعيدة عن الانسجام ٠٠ فنصبح امام احتمالين ٠٠ اما ان نصلح اوتارها ٠٠ أو ان نرمى بها جثة دون روح ٠٠ على الرمال المتحركة ٠

ـ ١٩٧٠ ـ

نحن العـــادلون

يصادف هذا الأسبوع عرض مسرحية البيركامو الشهيرة ـ العادلون ـ على شاشة التليفزيون الصغيرة · ولاشك ان تقديم أى عمل لكامو يعتبر نصرا اكيدا لا ريب فيــه للثقافة وللفن الصحيح فى بلدنا ·

ومسرحية ـ العادلون أكثر من أية مسرحية أخــرى لكامو تعكس مختلف التيارات الايدلوجية والسياسية التى عاناها هذا الكاتب الشاب الذى خسره الفكر الانسانى قبل سنوات ·· والذى لا أجد من يحل محله بين كافة كتاب

★ مقال كتب بمناسبة عرض العادلون فى التليفزيون السورى .

عصره · ـ العادلون ـ هم مجموعة من الثائرين اختاروا الحـل الدموى طريقـا لمقاومة الارهـاب الذى يحيطنا واختاروا للتعبير عن انفسهم وسيلة عجيبة خارقة للعادة لايؤمن بها عادة الا السلافيون الذين تسرى دماء الحتمية فى عروقهم ·· هذه الوسيلة هى الموت ··· انهم يرغبون بالسمو الى صعيد الفكرة عن طريق الموت لاجلهـا واذا ارادوا ان يموتوا بشرف فلكى يمنحوا ثورتهم وشرطهم الانسانى شرفا وأصولا ·

انهم خمسة ·· يدورون فى رحى واحدة يتناثر منهـا قطبان ·· الاول الشاعر الذى يناضـل ويموت كى يمنح الشرف لثورته·والثانى ستيبان الذى لايرغبباْنيكون شريفا الآن قدر مايرغب ان يكون أولاده سعداء غدا ·· والا يكون هناك فى العالم طغيان ·· الأول يحارب فى سبيل اليوم ·· والآخر فى سبيل غد لاندرك عن كنهه شيئا ·· الى جانب هذين القطبين تقف ـ دورا ـ معشوقة الشاعر شاهدا صامتا ، تمثال من الملح ·· تدور فى احشائه نار قاتلة ·· ويفتش عن الدمع عبثا كى يؤكد بالدمع انسانيته· ·· مخلوق لاقرار له ولا أساس الا هذا الحب العـارم المخيف الذى يكنه للشاعر والذى يجد فيه اسباب وجوده كلها ·· والرمز الذى تحيك به هذه الفتاة الشاحبة السوداء خيوط مصيرها الفاجع ·

ان دورا تبحث عن المأساة : منذ ان وجدت ·· تبحث

عنها فى ـ الثورة التى تخوضــــها ٠٠ وفى الحب الذى تضمره ٠٠ تبحث عنها كى تجد مبررا لوجودها وســـببا كافيا لاستمرارها ٠٠ انها تفتقد الحنان الذى فقدته فى غمار ثورتها ٠٠ والذى لايمكن الا للحب ان يعيده اليها ٠٠

ومن خلال تعاكس هذه الدوائر الثلاثـــة ٠٠ تدور احداث الرواية عجيبة شامخة لتضع امامنا شرط الثورة وشرط الانسان الثورى كما يراها ويؤمن بها البيركامو :

نحن فى صبيحه يوم من ايام الشتاء فى عام ١٩٠٦ فى منزل العادلين حيث يهيئون مؤامرة لاغتيال الدوق الكبير سيرج ممثل الطغيان والقياصرة فى هذا البلد الواســـع الحزين الذى يدعونه بالروسيا ٠٠ ونفهـــم من ســـياق الحديث الذى يدور بينهم ان الشاعر كالييف هو المكلــف بالقاء القنبلة ٠٠ وان دورا تنظر الى الميتة القادمة التى سيموتها الرجل الذى تحب مبررا لها كى تتابع ماساتها وكفاحها فى سبيل الثورة ٠٠ لقد دخلت الثورة لأنها احبته ٠٠ وستتابع كفاحها لأن من تحبه قد مات فى سبيل الثورة ٠

رجل واحد يقف امام هذه الأحداث موقف التساءل حينا والمستنكر احيانا انه ستيبان الذى روضته السياط فى المعتقل وجعلته يفهم ان العالم مقسوم الى شطرين لاصلة بينهما ٠٠ شطر الطغاة وشطر الضحايا ٠ لذلك فهو ينظر الى

حب دورا نظرة الهازىء ٠٠ والى موقف يانك المثالى من الثورة نظرة المستنكر الغاضب ولكن ستيبان مع ذلك ثورى نظامى يؤمن بالنظام المطلق لذلك فهو يخفى معارضته حين يخبرونه ان الشاعر سيلقى القنبلة القاتلة على عربة الدوق ٠ غير ان الأحداث المتعاقبة تؤكد وجهة نظر ستيبان ٠٠ اذ لايستطيع الشاعر القاء القنبلة لأنـــه وجد اطفال الدوق يصاحبون اباهم فى عربته ٠

هل يمكن للثورة ان تبرر قتل اطفال صغار ٠٠ الا تفقد بذلك مبرر الشرف الذى هو سبب وجودها ؟ هل يمكن قتل الابرياء فى سبيل مدينة سعيدة بعيدة المنال ٠٠ ؟ وان لم تتحقق هذه المدينة افلا نكون عندئذ مجرمين قتلة ؟؟

هذه هى الخيوط الرئيسية لهذا الصراع الايدلوجـى الفذ الذى عرضه البيركامو فى مسرحيته وشرح به الصراع الداخلى الذى عاناه هو بنفسه ابان ازمة سياسية معينة مرت بحياته ووجهت قدره وجهة مرسومة ٠

ان تقديم هذه المسرحية بمثل هذا الظرف الذى تخوضه البلاد العربية عمل رائع ٠٠ واكاد اقول عمل ضرورى٠اننا فى طريقنا الى بناء صرح سياسى يظلل خلافاتنا ونزاعاتنا ويبســـط علينا حماية فكـرية وروحيـــة ٠٠ ولكننا مع ذلك لازلنا حائرين لاندرى ايـة وجهــة نتخذهــا كى تكون مرشدا لنا ٠٠ فى ظلامنا ٠٠

وكامو يجيب ـ على هذا التساؤل بل ويلح عليه الشرف أولا وقبل كل شيء ... اخلاقية الثورة هى مبرر وجودها .. واخلاقية الثائرين هى السبب الكبير الذى يدعونا للانضمام اليهم .. ان تخلت الثورة عن الشرف فعلينا ان نتنكر لها .. وما ضربات السياط التى يتلقاها معذبون في الأرض الا دليل جديد على ضرورة تمسكنا باخلاقية الثورة وشرفنا .. علينا ان نكافح كالرجال وان نموت كما يموت الرجال وعلى شفتنا ابتسامة .. وفى قلبنا زهرة . نعم ان مسرحية كامو لاتخضع لتقييم الزمن يمكننا ان نلعبها اليوم أو نمثلها غدا .. فستظل محتفظة بهذه الحمى التى تنبعث من سطورها .. وبهذا الأنين الأليم الذى يسير كالايقاع الرتيب بين كل فصل من فصولها . انها مسرحية حزينة كالشفق . ودموية مثله ..

واذا كانت الشخصيات التى رسمها كامو شخصيات مجردة تتحدث عن افكارها بقسوة .. وبعبارات فلسفية فان الحنان المنبعث من كلمات دورا. ومن كلمات الشاعر هما كالموج الدافىء يبعث النشوة والدم فى كل كلمة ميتة وفى كل موقف مريض .

هذه الشخصيات المصلوبة على نفسها .. التى ترى فى الموت سبيلا للتحرر وسبيلا للوصول الى تحقيق المثل الأعلى .. والتى تتمسك بالعدل كمبدأ فى سبيل الثورة وفى

سبيل الحياة هي الشخصيات التي يجب ان نكونها في كل لحظة من لحظات حياتنا الحاضرة ·

علينا ان نفهم صمت ــ دورا ــ وحيرة ــ يانك ــ كي نعلل صمتنا وحيرتنا ·· نعم ·· علينا ان نكون ــ العادلين ــ كي نستطيع ان نكتب تاريخنا بصورة حقة ·· وعـــزم شريف ·

ــ ١٩٦٩ ــ

فهـــرس

مكتبة الأسرة



بسعر رمزى خمسون قرشاً
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٧

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

■ د. رفيق الصبان

هذا الكتاب الذى أعده الناقد الفنى والأستاذ الأكاديمى د. رفيق الصبان يتناول مسرحيات مختلفة من بلاد مختلفة، تتحدث عن الإنسان وقدره، عن النجوم والظلام.. عن الحلم والحقيقة.. وتتجمع كلها حول خط واحد، تختلط فيه شاعرية البطل بوحشيته..

مجموعة من المقالات المتناثرة كتبت فى مراحل مختلفة ... (عـ... خاص) يميزها.. با... المسرح.